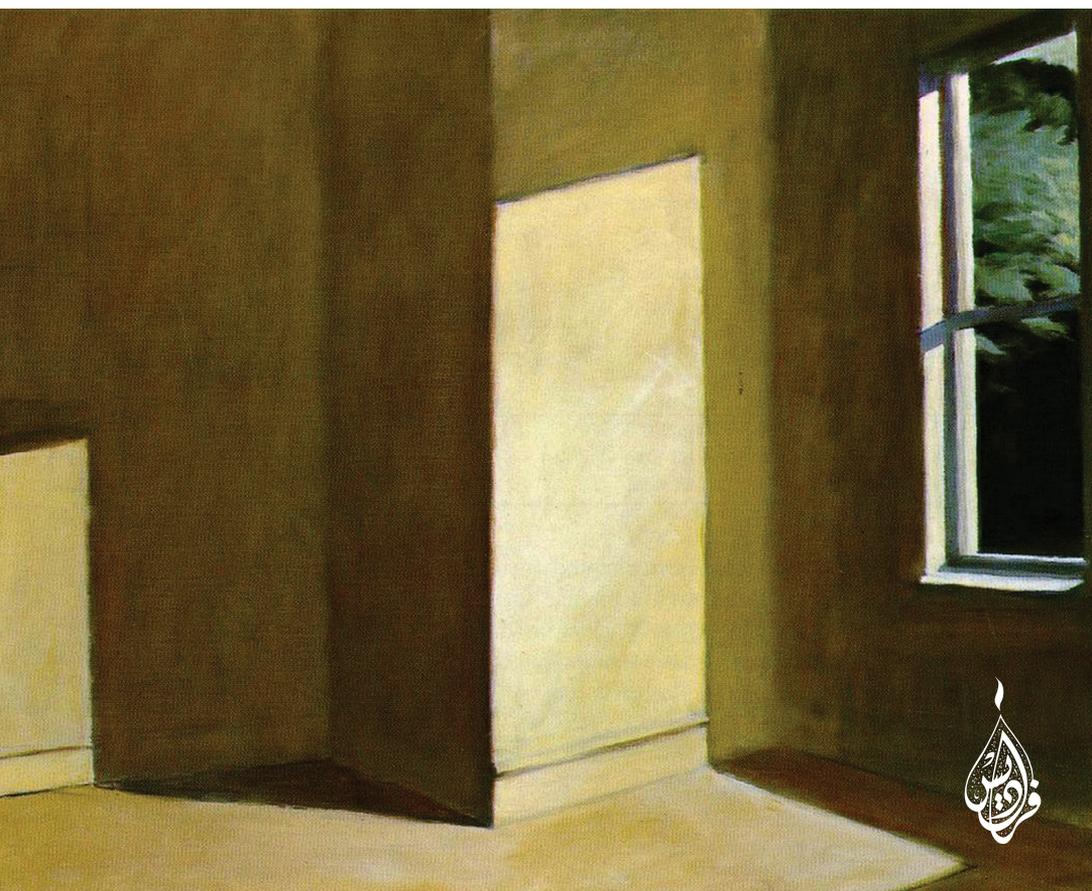


أحمد مدّن

الصّحوة
بجُرعاتٍ ماثِلةٍ



الصَّحُوفُ بِجُرْعَاتٍ مَائِلَةٍ (شعر)
أحمد مدّن (شاعر من البحرين)
الطبعة الأولى: 2017
جميع الحقوق محفوظة



فراديس للنشر والتوزيع
Faradees publishing
هاتف: 0097339461232

ص . ب : 33662
المنامة - مملكة البحرين

E-mail: darfaradees@gmail.com
E-mail: musawi2000@hotmail.com

لوحة الغلاف : شمس في حجرة فارغة ، 1963 ، للفنان

الأمريكي إدوارد هوبر

ISBN:978-99901-45-78-6

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: 967/د.ع/2016

جميع الحقوق محفوظة بما فيها الترجمة إلى لغات أخرى.
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو
تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من
الأشكال ، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

أحمد مدّٰن

الصَّخُّوْ بِجُرْعَاتِ مَائِلَةٍ

ناحية

(النويدرات على الأرجح أو ما شابه القلب)

بين أن يطالك الوردُ

وأن ترمي إليك العصافيرُ خبطاً أجنحةً

كنت حافة القلبِ

كنت أمسياتِ الدروبِ

وكنت جادةَ الشجرِ

وهذا الصباحُ أدلى من شرفةِ النهارِ كتابك، كأنَّ

نسيمَ الساحلِ وطأةَ الساحةِ، وكانَّ خريفَ الحدائقِ

ماءُ الكتابةِ، وكأني خللُ البداياتِ ورجرجةُ الحضورِ

ورقرقةُ الطيورِ وقلبُ المطرِ

لَنْ أُدْلِيَ بَدْمِي
لَنْ أَتَقَاطَرَ دُونِكَ
لَنْ تَجْمَعَنِي الصَّبَوَاتُ وَسَوَاكِ
لَنْ نُشْرِكَ وَادِي الْخُرُوجِ
أَوْ بَرِيَّةَ الدَّخُولِ
أَوْ بِسَاتَيْنِ الْغَرْبِ
أَوْ مَلُوحَةَ الشَّمَالِ

ومثلاً أَنْ تُدْرِكَ حَبَبَ الْقَلْبِ فِي تَفَاصِيلِ الْهَطْلِ، ومثلاً أَنْ
تَرْشُفَ ظِلَّ الرَّحِيقِ فِي مَرَايَا الْعَشْبِ، ومثلاً أَنْ تَتَمَوَّسَقَ
وهذا الْخَرِيرُ، ومثلاً أَنْ تَهْفَهَفَ خَفْقَةً مِنْ سَعْفِ
الْهَسِيسِ، ومثلاً أَنْ تُغْرَقَكَ التَّفَاصِيلُ وَتَوْمِي بِالطَّلَلِ
الْمُسَهَّبِ، ومثلاً أَنْ تَصْحُو يَدَاكَ فَلَا تَعْرِفَكَ الْمَنَازِلُ
الْخَفِيضَةَ، ومثلاً أَنْ تَتَأَى الْكِتَابَةَ فَلَا تَقْرُبُ سَوَاكَ،
ومثلاً أَنْ يَغْزُو الْقَفْرُ وَيَكْتُبُ جَنُودَهُ فِي الْجَذُوعِ، ومنها
الْوَاقِفُ وَمِنْهَا النَافِقُ، ومثلاً أَنْ يَسْتَرِيحَ فِيكَ دَمِي النَافِرُ
بِالرُّطُوبَةِ وَالْمَاتَمِ وَالْبَطَالَةِ وَالنَّوْمِ وَأَحْلَامِ الْيَقِظَةِ

وقد يُلقِي الشَطَطُ أبوابه، فَتَنْقُرُ جدرانَ الأحوالِ،
وتَطْرُقُ ألقَ الكتابةِ والمَحْوِ، وسيرورةَ الشبابِ،
وخرائطَ الاعتقالِ، وممراتِ القَيْظِ، وأرصفةَ التُّرْبِ،
وطرقاتِ التعدّدِ، ومصاييحُ تهمسُ طقسَها وتثرُ أثقالَ
الموتِ والنعاسِ

فصلُ الكلماتِ والأعْذاقِ والكبارِ على مصاطبِ
الصباحِ، وفصلُ شخوصِكِ يَقْطُرُ أُلْفَةً مِنْ حكاياتِ
التكرارِ، يُلَمِّمُ هوامشها نسوةً، يُشاغِبُنَ ضجيجاً
وعراكاً، ويفضَحُنَ خواتمَ الرجالِ

بابُ الطرائقِ ماءُ الذاكرةِ، وبابُ النوافذِ ظلُّ المارّةِ،
والشِغافُ فخاخُ الفِثْيَةِ، والطيورُ مهاجرةٌ لا تحطُّ فوقَ
أعجازِ النخيلِ، ولا تداري خيبةَ السفرِ

موجُ العُمُرِ كمنازلِ البحرِ في بيوتِ المدِّ، وكرفقةِ
الريحِ، لا تَصْحُو إِلَّا فِي غَرَفِ الطِّينِ، ولا تُسَلْسِلُ إِلَّا
فقراءَها، ولا تُمِيطُ اللثامَ إِلَّا فِي بيوتاتِ السَعْفِ

شرائطُ الأحداثِ فُوهُهُ أَعْوَامٍ، لَا تَبْدَأُهَا خَمْسَةٌ وَسِتُونَ
بَعْدَ التَّسْعِمَائَةِ وَالْأَلْفِ، وَلَا تُنْهِيُهَا فَصُولُ التَّسْعِينَاتِ أَوْ
مُسْتَهْلُ الْأَلْفِ الثَّلَاثَةِ، أَوْ يُرَاوِعُهَا سَاسَةٌ دِينَ مُتَبَرِّجِينَ
بِتِجَارَةٍ لَا تَبُورُ، أَوْ يَقْتَرِحُهَا الْمُتَسَلِّقُونَ عَلَى أَكْتَاكِ
فِتْيَةٍ، مُنْتَشِينَ بِقِمَصَانِ السَّوَادِ، وَرَايَاتِ التَّظَاهِرِ،
وَشَعَارَاتِ الْجَدْرَانِ، وَاكْتِظَاطِ الْبُيُوتِ، وَزَخَاتِ
النَّدَوَاتِ الْمُتَلَفِّزَةِ

مَرْفَأٌ وَحَدَّتْهَا فِي يَدَيْهَا، وَعَلَى مَسَافَةٍ تَقْرَأُهَا
كِيلُومِتْرَاتٍ مَعْدُودَاتٍ، تَتَدَاوَلُ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةَ الْبَسَاتِينَ
الَّتِي أَقْفَرَتْ، وَالْبَرَارِيَّ الَّتِي زَرَعَتْ بُيُوتَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ،
وَخِرَابَ عَنِيفَةٍ، وَصَفَائِحَ آسِيَوِيِّينَ، وَمَلَاجِيَّ أَنْقَاضٍ،
وَكَلاِبُ التَّشَرُّدِ مَبْنُوثَةٌ تُذَرِّزُ غَوَايَةَ الصِّغَارِ وَفَسْحَةَ
النَّبَاحِ

قَمَرُ النَّهَارِ شَمْسٌ ضَحَاها وَحَمِيمُهَا اغْتَسَالُ الْبَحْرِ
بِسَاحِلِ الْعَمْرِ، وَالضُّوْءُ رِحْلَةٌ مِنْ عُتْمَةٍ لَا تَغَادِرُ سَطُوحَ
مَنَازِلِهَا، وَلَا تَبْرَأُ مِنْ قَاطِنِهَا، وَلَا تَشْفَى مِنْ لَعْطِهَا،
وَلَا تَقَاضِي بَارِئِهَا، وَلَا تَغْفُو عَلَى صَفِيحَةٍ مِنْ كَلَامِ

وأعتابُ الصَّبَابَةِ سلالِمُ مِنْ شَرْقِ السَّبْخَةِ وآسِنِ البَحْرِ
حتى غروبِ السَّاحَةِ وبقايا مَلاعِبَ وبقايا مَظاعِنَ قِيظِ،
والتمرُ كهجرة أصحابه يُشعلُ وجبةَ الشمسِ، وبقايا
مساجدَ انفضَّ عنها المؤدِّجونَ، والدروبُ
لا تحملُ أسفاراً من دوابٍ أو أسفاراً من عُتْر

فصيلُ الموتِ أو فصيلُ الطمأنينةِ، كجثومِ أهلِ الإقامةِ
والرحلِ، يلعقانِ آبارَ الجفافِ وخرائبَ القلبِ،
والنهيراتِ من بعدِ أترِ، لا تُمطرُ جوانبُها، ولا تُشغلُ
قطراً، ولا تُمهَرُ جذراً، ولا تهجسُ نقعاً، أو تفارقُ
غياباً، أو تلامسُ الحضور

كأني بها أجدرُ، أو على الأرجحِ أخاطرُ، كأني لا
أسميها، حدُّ رتقِ اللفظِ، أو حدُّ اختصارِ الولوجِ أو
هفهةُ الروحِ، أو حدُّ الشبهِ، أو حدُّ المكوثِ

كأني أحاذرُ بها يومي

وكانها لبثُ الماءِ

وكانها جُرعةُ الوقتِ بتفاصيلِ الوطنِ .

بِع*

ربما يرمي سيرتهُ
ربما تترى أخبارهُ
ربما يستوي حديثهُ والنخلَ

أو ربّما يطرقُ دربهُ ليلي
أو ربّما يتراقصُ مدُّ البحرِ وجوانبهُ
أو ربّما يفقهُ عشبهُ تلافيفَ عمري
أو ربّما ..
أو ربّما ..

يتداولُ والنسوةُ أكتافَ التمرِ
يتناولُ والصبيّةُ قفافَ الطلعِ

❖ في إشارة لعين (أم الشؤيلي) وهي عين ماء مندثرة في النويدرات
وكان مدّ البحر يحيطها من جميع الجهات.

أَوْ رَبِّمَا ..

أَوْ رَبِّمَا ..

يَقْدَحُ بِالصَّبَايَا

يَكَاتِبُ الْجِهَاتَ وَيَتْلُو مَاءَهُ الْمَغَادِرُ

وَيَمْضِي

يَغْسِلُ ضِفَافَهُ

وَالْبَحْرُ هَامِشُهُ الْأَكْبَرُ

وَالْبَحْرُ قَاتِلُهُ الْأَخِيرُ

كَأَنَّ تَلْقَفَهُ الْمَارَّةُ أَنْبَاءً

كَأَنَّ يَغْدُو هَشِيمَ الْهَجْرَةِ

كَأَنَّ تَقْسُوهُ الْمُغَادِرَةَ

أُتْرَاهُ،

جُفَافًا يَتَّقِدُ فِي جِدَارِ الظَّهِيرَةِ،

مَشْتَعَلًا فِي شَمْسِ صَبِيئَةِ الشَّيْوَخِ

أَمْ تَرَاهُ،

تَتَرَصَّدُ الْخَاوِيَةَ مِنَ النَّخْلِ

يَتَسَلَّقُ خَطَى يَدَيْهِ

يُلْقِي أَعْتَابَهُ فِي أَلْفَةِ الْوَرَقِ

يَلْجُ لَيْلَ ذَاكِرَةٍ لَا تَغْفُو .

صيف

لا يهدأ هذا القيظُ يلاحقنا، لا يهدأ يرمي أيامه
شهوراً، يرمىها من قدامٍ ومن خلفٍ ، لا يهدأ في أن
يفاوضنا في أجسادٍ، يأويها ليلَ نهارٍ، نحسبه يستدعي
حفيفَ أوراقِ شجيراتٍ مضتْ، وظلالَ ماءٍ غاضٍ
ومات، يتقيأ من أحلامٍ تتقاطرُ وتتهضُ في سُويعاتِ
المساءِ، قُربَ سالفِ العمرِ، وعلى ضفافِ الناحيةِ
الخواويةِ، ينسجُ منها أوكارَ الطيرِ الصافنةِ المخبئةِ في
قرميدِ البيوتاتِ الغارقةِ في مطرِ الطلِّ، يشحذُ من
قطراتِ الفيضِ موائدَ للتأففِ والتذمّرِ، ويسألُ المارةَ
والعرباتِ، حُسْنَ الإجابةِ، وحُسْنَ الهيئةِ، وحُسْنَ
الاستكانةِ في مغادرةِ المُكيفاتِ المتوقّعةِ، وغير
المعلومةِ أوبتِها

هكذا نحن أسرى الانتظار، هكذا لنا لونُ التوقّف،
هكذا بنا العُدُو، وهكذا بنا الرجوعُ، وهكذا
عجلاتُ الأشهرِ القائِظَةِ، تكتبُ اختياراتها، وتُملي
فرائضَ الحضور، وتحاصرُ هذا التقويمَ، وتتقي ما
يُحسِنُها، وترمي فُتاتَ السَنَةِ، وترشُقُ البقيّةَ بالحظِّ
والمصادفةِ والطبيعةِ غير الحاضرةِ

لو أنا نقتاتُ طقساً، يملأُ رِفَقَتَنَا دفءَ الساعاتِ،
ويساقطُ في غيمِ النهارِ، ويجاهرُ في خَلَلِ النومِ وقيلولةِ
الفيءِ وشائقِ الجوِّ، وهديرِ الصحوِّ، ومستلزماتِ
الهدأةِ، وفائضِ الوقتِ، وسلّمِ الأمنياتِ، وأغاني
الصيفِ، ونواحي النخلِ، وتقاريرِ تأمنُ هسيسها
وئَمْضِيكَ شروطُها، فقرةً من كتابِ الأشهرِ المسترسلةِ

لو أنا نأسرُ رُطبَ القلبِ في سِلالِ العرقِ، ونمنحُ سورةَ
الرجالِ قناديلَ التمرِ، ونهدي بقايا الموجِ ساحلَ
الغروبِ، وننمو في طرائقَ من ندى العريباتِ، ونستأنسُ
شمساً من عباآتِ الصبايا، ونتهادى الصمتَ في جدرانِ

الرطوبة، ونلغو بأشياء القطر، وفلول الأقارب، وبقايا
الصُحْبَةِ، وطبْعَةِ المساء

لو أنا في ضواحي الأشهر القائِظَةِ، نلقفُ سُبُلَ القُرْبِ،
أو مسالكَ الأطرافِ، أو هوامشَ الجُنُبَاتِ، أو مساقطَ
النوافذِ، أو طلَّةَ الشرفاتِ، أو منازلَ القلوبِ، أو قلوبَ
المنازلِ، أو ربيعَ نيسانِ، أو خريفَ تشرينِ، أو شتاءَ
كانونِ، أو بحرَ الفصولِ الماثلة

شفقٌ في المدينةِ يَأْلَفُ المصائِفَ، شفقٌ يُغْنِي الشيطانَ،
وحالات القومِ نهاراتٌ مِنْ حالاتكَ، والألوانُ تُمَطِّرُ
الفضاءاتِ الغاريةِ، والتوقُّ يَقْضِيكَ في عسافير تَثْرَى في
سرابيلِ الحلمِ أو مناطيدِ القصائدِ أو خفقِ الأجنحةِ أو
خبْطِ القلوبِ

وهجٌ يغفو بينَ يديكَ كلِّ يومٍ، يكادُ لا يفارقكَ
القُرْبُ، ولا سطوةٌ في بلاغاتكَ، ولا حظوةٌ في
رسوماتكَ، ولا شيءٌ يُبالِغُ في نهجكَ، سوى أنكَ تَلْقَى

كلّ الفتيّة، يحملون نهاراتهم ويصلبونها كلّ مساءً،
عند بؤابة رسْمك، وعند مداخل قيظك الأخير

إذ تَسْكَبُ الشمسُ عِرَّتَهَا، يدلُّقُ العمالُ غربةَ قارَّتِهِمْ،
ويشتغلُ الإسفلتُ بالعرقِ والمظلاتِ وأكوامِ الأجسادِ
المتناثرةِ وجنُّباتِ الطرقاتِ، وتجنُّحُ البلادِ القصيةِ إلى
صخبِ الخليجِ، وفي الجانبِ تؤوبُ الأشجارُ إلى سيرةِ
الظلِّ والدفءِ وخرائطِ النهارِ وجلالِ الأرضِ وفُتُوَّةِ
العالمِ .

حَيْرَة

إِذْ طَوَّحْتِكَ الْمَسَاءَتُ، جِرَاءَ جَوْلَةٍ فِي أَفْقِ النَّهَارَاتِ
وَأَسْلَمْتِكَ إِلَى بَوَابَةِ الْبَيْتِ، لَا تَلْبَثُ أَنْ يَصْطَادَكَ هَذَا
الْمَطْبَبُ، لَا تُدْعَى إِلَى طِرَائِقَ تَرْكَبُ رِيحَهَا عَلَى أَجْنَحَةِ
الْعَرِيَاتِ، أَوْ تُدْعَى إِلَى مَائِدَةٍ مِنْ غُرُوبِ، أَنْتَ صَحْوَةٌ
قَوْسِهِ وَفِيكَ مَوْتَلُهُ، أَوْ إِلَى فَنَاءٍ يَرْمِي تَخَوْمَهُ، حَدَّ
أَطْرَافِكَ وَحَدَّ جِهَازِكَ الْمَشْرَعِ بَيْنَ فِضَاءَاتِكَ، وَحَدَّ هَذَا
الْبِيَاضِ الْقَرِيبِ، وَحَدَّ هَذِهِ النَّفْرَةَ الْمُسْتَفْرَّةَ، أَوْ يَنْزَلِقُ
الشَّعْرُ فِي إِنْاءٍ مِنْ جُنُبَاتِ كِتَابِكَ الْمُلْقَى فِي مَهَبِّ عَيْنَيْكَ
وَالْمُسْتَجْمُ فِي أَنْفَاسِكَ الْمُنْتَشِطِيَّةِ، أَوْ يَحْتَفِي الشَّفَقُ بِطَلَّةِ
نَافِذَةٍ أَنْتَ مُسْتَطِيلُهَا، أَوْ يُخَاصِرُكَ الْمَكْيِيفُ فِي صَوْتِهِ
الْمُتَطَفِّلِ، أَوْ تَمْلُوكُ الشَّاشَةَ بِأَنْبَاءٍ تَسْتَهْلُ جَسَارَتَهَا فِي
مُعَادٍ مِنْ كَلَامِ النَّشْرَاتِ، أَوْ يَشْهَدُكَ الْوَقْعُ طَرْقًا مِنْ
أَجْرَاسِ الْبَاعَةِ، بِرِفْقَةٍ مِنْ شَطْفِ الْعَيْشِ، وَمِنْ عَتَبِ

الحاراتِ الشقيّةِ، أو تَهْدُ إِلَيْكَ أصواتٌ من مخازنِ القبابِ،
ومنْ جيوبِ الفقهاءِ ومنْ سابلةِ الحديثِ ومنْ لِمَمِ المارّةِ، أو
تتقاطرُ إليكَ أفكارُكَ المَكْتَنَّةُ كأَمْطارِ الرطوبةِ فوقَ
الجباهِ أو فوقَ الزجاجِ أو فوقَ اليدينِ المتدليّتينِ كأعناقِ
النخيلِ أو كناطحاتِ البيانِ، أو ينزلُ الدبيبُ في مفاصلِ
حيرتِكَ، أو يُطلقُ نارَ هواكَ في هشيمِ وحدتكِ، أو يستويكُ
علائقَ منْ تفاصيلِ، تَبْذُرُ فيكَ شَطَطَ الغبارِ وشَطَطَ
الأحلامِ وشَطَطَ الخارجِ، ولا تفتأُ ترتضيكُ حواضركِ،
مدائنُ ربيّةٍ وطرائقُ غائمةٍ وقناني ضَجْرٍ. وإذ سِوى وجهتكِ،
جهاتٌ لا يَفْتُرُ شمالُها يتدفقُ في جَلْبَةِ منْ أمركِ، ولا يَفْرُ
جنوبُها فيالِقَ يديكَ، ويشرقُ غربُها في دأبِ السيولِ الحائرةِ
تمخُرُ عبابَ روحكِ، عَطْفُ الهجرةِ، ودواخلُ السيرِ،
وأقبيّةُ الممرّاتِ، والجدرانُ المملّحةُ المتلازمةُ، وأطوارُ
المشيِّ، وبخورُ الذاكرةِ، ومنايِ القلبِ، وتقاليدُ
الصبيّةِ، وطفولةُ الزوايا، ونوافذُ النخيلِ، وطرائقُ
القدمينِ فوقَ شظايا الزجاجِ المعشّقِ، وركامُ الرمادِ،
وبصيرةُ الصمتِ، وعماءُ النشيجِ
أقحمُ هنا ذُؤابةَ النومِ، وأقرأُ نِعاسَ الأَسْطُرِ، وأشهدُ
مراكبَ النظرِ، تفرقُ في لُجّةِ الوحدةِ .

قمر

قمرٌ يُرْخِي وَجْهَهُ فِي الْأَزَقَّةِ الْمُتَدَارِكَةِ
قمرٌ يُرَمِّمُ صَحْوَةَ فَوْقَ الْأَسْطَحِ الْمُتَدَاعِيَةِ
قمرٌ يَنْهَضُ فِي الْيَدَيْنِ
قمرٌ يَغْسِلُ دَمِي بِمَاءِ اللَّيْلِ

قَبْلَ لَيْلَتَيْنِ تَتَادَتِ الْيَقْظَةُ
بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ رَسَمَتْ رُؤْيَةً
وَتَسَاقَطَتْ جِهَاتُ الْكَلَامِ
وَأَمْطَرَتْ صَحْوَةَ الْبَيُوتَاتِ
وَنَامَتْ بَيْنَ السَّهْرِ وَبَابِ الصَّبَاحِ

الغَيْبَةُ فِيكَ نَشْرٌ قَاطِعٌ
والرَّيحُ تَهْدُهُدُ شَرُفَاتِ النَّوْمِ
وَتَقْفَرُ عَتَبَاتِ الْفَرْحِ
وَتَشْغَلُ نَوْرَ الصَّبِيَّةِ
وَتَبْلُلُ هَذِهِ الْمَمْرَاتِ
وهذه القَطَطُ الْعَاشِقَةُ

حِينَما يُخْفِينَا الْقَمْرُ
الْقَلْبُ جَزِيرَةٌ عَارِيَةٌ
وَالضَّفَافُ مَدَائِنَ غَيْمٍ
تَسَاقُطُ مِنْ أَنْفَاسِ النَّيَامِ
فِي انْتِظَارِ الْغَسَقِ

حِينَما يَقْصِدُنَا الْقَمْرُ
وَالضَّبَابُ يَتَكَسَّرُ فَوْقَ الزَّجَاجِ
الْمَرَايَا رَحِيلٌ
وَالْمَرَايَا نَجُومٌ لِلسَّفَرِ

أريدُ هذا القمرَ
أكسرُ بهِ وردةً
أو أرمي بهِ عثمةً
أغمطُ بهِ العينينِ
وتشقى بهِ الينابيعُ
ويطفحُ بهِ وجهُ البحرِ.

جهات

أقترحُ في مثلِ هذهِ الجهةِ البادئةِ،
أنْ لا يعتريني حديثٌ يُشابهُ ديبَ النهارِ، أو يتقاطعُ
وجسراً الليلِ، ولي منه سرادقُ القلبِ، ولي منه رواقُ
الصمتِ، ولي منه دَلْوُ الصُّحْبَةِ، وطرفُ الأصدقاءِ،
وإناءُ الصبِيَّةِ، وفُتُوَّةُ الشبابِ، وطفوُ الطفولةِ، وعبثُ
الأحبةِ

أقترحُ في مثلِ هذهِ الجهةِ الثانيةِ،
أنْ لا يهاجسني هسيسٌ أو يشاغبني حفيفٌ أو يجانب
أطرافِ شغافٍ، أو يتلوني همسٌ أو تسقطُ من بلاغاتي
خطاباتُ القادةِ، أو تتناولني الهزيمةُ في ربيعها، أو
تُمطرني الصلواتُ في تراتيلِ الفجرِ، أو يُعبؤني الوقتُ
مشاغلاً حنين، أو مشاعلاً صدفة

أقترح في مثل هذه الجهة الثالثة،

أن أتواصى بالبحر، وأن يتساحل قلبي وجزائر
العصف، وأن تندى ثياب القطرات، وأن يهزج المد،
وأن تُجاور السواحل سفائن البلل، وأن تعانق الغربة
فضاءات الموج، وأن تُشاطر الطير المرافئ، وأن تستقيم
الأجنحة

أقترح في مثل هذه الجهة الرابعة،

كما لو لم تقترحني الأمسيات، وجهة من خبب
الأغنيات، أو لوحة في أطر اللحن عند أقصى مناخات
الوقع، أو إيقاعاً للوطء في سلال النجوم على تخوم
الظلمة وشراك السماوات، أو شُرْفَةً لحبائل النوم عند
مداخل اليقظة

أقترح في مثل هذه الجهة الخامسة،

للجولة أبوابها، وللصولة نوافذها، وللحرب تجارها
وللهمج سرائر الدم، وللحكّام مقاعد الشعب،
وللجماهير الشوارع، وللخيبة قسوتها، وللموت طرائقه
وأطفاله، وللجثث أنقاضها، وللعسكر أنواع

الفرجة، ولي منة الكتابة، وهدير المكيف، وشاشة
الحروف، وعطب الساعة، وخراب الأمل

أقترح في مثل هذه الجهة السادسة،
أن نتبادل نخب اليوم، وأن نتدارس شرائط الكلام،
وأن نستسقي غمائم العمر، وأن نتواطأ واللهجات
غرائب الحديث، وأن نتهادى صباحات التيقظ، وأن
ندلق ماء العشب، وأن نروي رطب الظهيرة، وأن
نهندس أصابعنا، وشيئاً من رطوبة دمننا

أقترح في مثل هذه الجهة السابعة،
ينابيع النهارات، أوائل الورد، فضائل الفتح، نسائم
الفصل، شرق الشمس، أقمار الفضاءات، مواسم
الطير، قطار الوصل، أطراف البدء، مفاصل الصباح،
هددة المصايح، ثرثرة الصحو، بذر المساءات، ذرذرة
السطر، فتح الله والكلمات، خرائط النحو، كتائب
الأصدقاء، شرائع الحب، قناديل الصورة، شجيرات
الصباية، منازل الحنين، قرائط العشق، سرايا الندى،
طل الهطل، قطرات الشف، وصال الشوق، نهيرات

الطفولة، جُنُبَاتِ الدَّمْدَمَةِ، مهَابِطُ الرُّوحِ، خَبُطُ القَلْبِ،
مرَاتِبَ النُّبُضِ، أَصِيلَ الجَهَةِ الغَارِبَةِ

أَقْتَرِحُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الجِهَاتِ،
لَمَلَمَةَ الغُرُوبِ وَأَبْوَابَ المِغَادِرَةِ
وَرَفْرَفَةَ الرِّحِيلِ وَهَبَّةَ الذَّهَابِ .

تداعيات

(1)

مدُّ أكثرَ من شهرٍ، وأنا أستنطقُ العالمَ وألوي عنقَ
الكلام، مُبصرةً يداي، وخريرُ القلبِ يرشحُ من أفئدةِ
النهارِ وليلي تجاسرُهُ الرعبُ، وأطفأَ سرَّتهُ هديرُ
العتمةِ، ولستُ أداري سوءةً أو أطلقُ خطيئةً، أو
أكتفي بالإذاعاتِ، أو أمازجَ نوميَ بالمشيئةِ، وعصبِ
الاحتضارِ، وموتِ الحديثِ

أحضرُ، أظلُّ أحضرُ، أكثرُ من شهرٍ، وأعمقُ من مطرٍ،
وأقسى من قصفٍ، وأبعدُ من صباحِ
تَوَقُّ الروحِ على طَلَلِ الكلامِ، ودفقِ الماءِ نسيجُ
الوحدةِ، ولا آخرَ في الصَّفِّ ولا ابتداءً للحضورِ

أعمقُ مِنْ غِيَابِ، وَأَقْصَرُ مِنْ وَمُضَةٍ، لَا مُدُنَ،
لَا عَوَاصِمَ، لَا خَرَائِطَ لِلْسَاسَةِ، وَلَا وَرُطَةً لِلْخَيْبَةِ
أَمَازِجُ قَدَرَ الْيَوْمَ، وَأَهْصَرُ شِغَافَ الْفَضَاءِ، وَأَجُولُ زَمَنَ
الْغَيْبَةِ،

يَدَايَ مَبْصِرَتَانِ
وَعَيْنَايَ مَغْمُضَتَانِ
وَأَطْرَافِي فِي فَضْلِ الْغِيَابِ
رُدْهُةُ الصُّورَةِ ضَيْقَةٌ
وَطَرَائِقُ الرَّسْمِ ضِيَابُ الرِّيْشَةِ
وَمَذُ أَحْلَلْتُ فِيكُمْ الْوَطْنَ، لَا وَقَعَ دُونَهُ وَلَا هَفْهَفَةَ
الصَّيْفِ وَلَا مَرَاتِعَ الرُّطُوبَةِ، وَلَا امْتِنَاتِ الْجِهَاتِ
النِّسْوَةِ لَا يَغَادِرُنَّ، يَمْتَشِقْنَ اللَّبْثَ، وَتَكَابِرُ الطُّفُولَةَ
عَلَى أَعْتَابِهِنَّ، وَالْجَنَابَاتُ مَصَائِدُ اللَّحْظَةِ، وَالسَّلَالِمُ
تَصَاعِدُ أَغْبِرَةً مِنْ صَبَايَا
أَنْهَضُ،
مُنْطَفِئٌ فِي دَمِي،
وَبَارِدَةٌ مَفَاصِلِي
عَيْنَايَ فَاتِرَةٌ،
وَيَدَايَ حَفِيفٌ غَيْمٍ شَفِيفٌ .

(2)

مُدُّ أقبَلتِ الأهلَّةُ، والصغارُ عناقيدُ الليلِ، والنجماتُ
زخارفُ الصبيةِ، والسهلُ بساطُ الطائراتِ، وأنا أرهفُ
المجالَ، وأصيخُ السمعَ، وأقضي مآربَ القلبِ، ولي منْ
سهامِ الحربِ اكتظاظُ الجعْبَةِ، ولي منْ شظايا الشهرِ
والنصفِ زيفُ الساسةِ وابتداعُ التحليلِ، ولي مُروقُ
التفاصيلِ والهواءُ المتكسّرُ في ثنايا المحطاتِ، ولي
فقرةُ هذهِ النوايا، ولي هشيمُ النهرِ وخطُّ الأزرقِ، ولي
حنايا القبضَةِ وتقاطيعُ الوصولِ
أفهمُ غشاوةَ الوقتِ، أفهمُ أراجيحَ الماءِ، أفهمُ منازلَ
القمرِ، أفهمُ مراتبَ القومِ، أفهمُ عسكرَ الوردِ
يشاغلني الفهمُ غيْهَبٌ، ويشاغبني الفهمُ مطرَ القنواتِ

(3)

فقطُ،

لأني،

قد أُقِيلُ الرغائبَ على حافةِ النظرِ، وقد أُسْقَطُ
الترهاتِ منْ طرائقِ العينِ، وقد يشرفُ مني الكلامُ
على تلةِ الأوراقِ، وقد أكوّمُ أنهارَ الليلِ على شمسِ

النهار، وقد تتراقصُ الفتراتُ في مضاجعي، وقد تنهمرُ
شهورُ القصفِ على مطالعِ أيلول، وقد لا يُؤخذني حذرٌ
من نومٍ، أو يقتفيني قميصٌ، قدَّ من نَدَمٍ، أو تكابرُ
بي سلَّةُ أشعارٍ

فقطُ،

لأني،

حينها

أو

حينك

لا يغادرني البحرُ

أو لا تُغادرني السفائنُ

ليسَ لي غير هذا الساحلِ

ليسَ لي غير ثوابِ الركوبِ .

مد رستا

قُرْبَ حَدَائِقِ الْقَلْبِ
أَزْهَرَتْ مِنْكَ تَلَّةٌ
دَاوَمْتَنِي صَغِيرًا،
وَشَابًّا،
أَقْلَعْتَ بِي خُطَايَ
وَاسْتَقَرَّتْ بِكَ الْمَنَازِلُ

وَحِينَمَا
أَوْدَعْتَنِي صَفُوفَهَا
وَتَرَكَضَ حَوْلَهَا الْفَرَاشَاتُ
لَمَّتْ الْمَدْرَسَةُ أَسْبَابَهَا
النَّوَافِذُ طَلْقَةُ الْفَضَاءِ

والنسوة يُحدِّقْنَ فِي الحُضُورِ
يُشْرِعْنَ قَهْقَهَةً
وَيُمَطِّرْنَ عَيْوناً
يَبْحَثْنَ عَن أَحَدٍ
يُطْفِئُ جَدْوَةَ النَظَرِ

مُذْ غَادَرْتُكَ
بَيْنَ فَيْئَةٍ وَأُخْرَى
يَرِفُ مِنْكَ قَمَرٌ
يُطْفِئُ البُعْدَ،
وَيُشْعِلُ تَلَامِذَةً،
كَالنَّهَارِ

هَآ أَنتِ
مُسَيِّجَةً بِالجَيْلِ وَالقَلْبِ وَالتَّلَّةِ وَالمَنَازِلِ
وَبِي
وَهَا إِنِّي أَهْفُهُفُ رُوحِي
وَأَصْطَادِكِ
وَأَنْسُجُ مِنْ حَوْلِكَ هَذَا الجِدَارِ

وفي الطرفِ
كنتُ أرقُبُ ماءً،
يَتَصَبَّبُ فِخَاخاً
فَأَنْقَعُ وَجَهَ السنينِ
وَأَنْتَشِلُ أَحذيةَ العابرينِ
وَكأنَّ،
للشُّجيراتِ شَعْفُ القفزاتِ
وللنخيلاتِ وَكَعُ الصغارِ وَصَرْمُ الأعداقِ واستكانةُ
المساء

غيرَ أنْ يَقْطَعِكِ صوتُ مكائنِ الماءِ، مزدانةً بالهجسِ
ومحشوةً بالجبالِ الخفيضة، ومرشوشةً بالملاعبِ،
وبالساحاتِ والطرقاتِ المبعثرة، وأشياءِ المارةِ وأشياءِ
النخيلِ

غيرَ أنْ يَتَماسِكَ حولكِ وبلُّ من وشوشةٍ وعتيقِ كلامِ،
وتتقاطرُ قُرْبِكِ عرباتُ التمرِ، شاخصةً نحو القرى
القريبة، مفتونةً بالرجالِ والصغارِ، مُمتَشِقينَ غُتراً
كعمائمَ محشوةً بالهدوءِ وبالأحلامِ السائبة

غَيْرَ أَنْ أَجَالِسَ فِيكَ الْفُتُوَّةَ وَالصَّبَابَةَ، وَأَخْلَعُ عَنِّي حَيَاءَ
الصَّغَارِ، وَأَنْثُرُ لَدَيْكَ طَوَابِيرَ الصَّبَاحِ، أُدْرِنُزُ هَمَّ
مُعَلِّمِيكَ وَأَنْشُرُ حَمَمَةَ أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ، وَأَقْدَحُ شَقَاوَةَ
الطَّلِبَةِ

مَنْ لِحِكَايَةِ لِحِكَايَةِ
نَبِيِّ أَحْلَامِنَا بَيْنَ جَدْرَانِ التَّشْطِي
نَوَزُّعُ أَقْدَاراً لَنَا
وَنُخْرِجُ مِنْكَ
أَبْوَاباً مُشْرَعَةً لِلْجَنُونِ .

حي

حيُّ

يتشربُ وجهي

فأسقيهِ الطفولةَ

نتقاطعُ

وهذا المساءُ

وهذا الشفقُ

الصورةُ ناصعةُ

الجهةُ الغربيةُ

كامتدادِ الروحِ

لا غربَ لها

أو لا عمُرَ لها

حدَّ صهيلَ الصغارِ
أو كملاعبِ الماءِ
خاويةٌ إلا من قلبي
أو كمساحاتِ النخيلِ
مثقلةٌ بالبقايا

أما الشرقُ
فتشرقُ الرطوبةُ
في الجدرانِ التي غادرها الطلاءُ أو لمْ تعرفهُ
وتتصاعدُ البيوتُ المتقاعدةُ
والصبايا اللاتي لا يُدرِكنَ غربةَ الحضورِ
يتقاطرنَ
كأنهنَّ مطرُ التجوّلِ
أو وابلُ العناقِ

وفي الشمالِ
كيفَ غادرَ البحرُ؟
وكيفَ لمتْ البيوتُ أساساتها؟
وكيفَ اشتعلَ الردمُ؟

وبعيداً
بعيداً
أَقْلَمَتِ النُّوَارِسُ !!

أما الجنوبُ
فالبوياتُ
واحداً بعد آخرَ
تلفظُ أنفاسها
من حرائقٍ ودخانٍ وناسٍ
فتزدحمُ الطرقاتُ
وتعتدي بطالةً
وفقرًا
وأحلاماً تموت .

أربعة

كنتُ رابعَ ثلاثةٍ
السطرُ،
والقلمُ،
وهذا الأفقُ

كنتُ أشحذُ رأسي
أملأُ السطرَ بدمِ القلمِ
وكانَ الأفقُ
رحلةً لا تجيءُ

إستطارَ الأفقُ
شقَّ مِنْ جيبِي
ثمانيةً وأربعينَ

وَكَوْمَنِي تَلَّةً مِنْ سَنِينِ

يُؤُوبُ السُّطْرُ

وَيُؤُوبُ الْقَلَمُ

وَعَائِبُ الْأَفْقِ لَا يُؤُوبُ

غِيضٌ مِنْ وَقْتِ

يَمْنَحُنَا أَوَّلَ الْقِرَاءَةِ

فِيضٌ مِنْ سَطْرِ

يَمْنَحُنَا تَضَارِيصَ الْكِتَابَةِ

وَجَمِيعاً

نُحْمَلِقُ فِي الْمَرَايَا

فَنَصْطَادُ نَوَافِذَ مِنْ زُرْقَةِ الْبَحْرِ

وَنَصْطَادُ أَبْوَاباً تَلُوْ أَبْوَابِ

وَلَا نَكَادُ نَخْرُجُ

حَتَّى نَدْخُلُ أَثْقَالاً

مِنْ هَوَاءٍ يَتَكَسَّرُ

وَمِنْ فَرَاغٍ مَطِيرِ

سالتُ بنا دنيانا
حَرَجاً بين الأصدقاءِ
فملاًنا عواطفنا
جيشاً من خيباتِ
وملاًنا جيوبنا
مسيراتِ احتجاج

تقشعراً أهدأبنا
عندَ كلِّ خلجةٍ
ونظلاً نُراوِحُ الأربعة

نحنُ الأربعة
تصحبنا الندامة .

خطوة تراقصُ قبأها

كالغربة في احتجاجها
قَصَرْتُ قامةَ رُوحِي عليكِ
وَتَمَنَّنْتُ سَيْفَ خَطَايِ
ارْتَقَيْتُ جَانِبَكَ

تَهْرَعُ بي الدرجاتُ
تَغْزِلُ أسماءَها في شَرَكِ النهارِ
وتجنحُ للظلِّ
وتَشِيدُ بما علقتهُ الأرجلُ
فَنُصِيحُ قَابَ أُمْنِيَةِ
وَنُصِيحُ قَابَ وَرْدِ
ونصبحُ قَابَ العناقِ

فِي أَنْ تُمَطِّرَ الْأَرْضُ صَبَابَاتِهَا ،
وَتَلْعَقُ عَوَائِدَهَا ،
وَتَلْتَظِي وَجَعاً ،
يَسْتَقِي يَوْمًا
فِي أَحْذِيَةِ تَجْرَجِرُ سَاكِنِيهَا

فِي أَنْ يُصَبِّحَنَا الْمَدَى
ضَوْءًا مِنْ مَصَابِيحِ مُكَسَّرَةٍ ،
وَنورًا مِنْ طِفْولَةٍ مُطْفَأَةٍ

فِي أَنْ تَهْفَ أَثْوَابُنَا ، وَتَخْتَلِجَ قِمصَانُنَا
فِي أَنْ نُعَدَّ أجسادًا ، تَطَّائِرُ فِي غَدُونِنَا وَقُمُولِنَا

وَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُنَاولَ صُورَةَ أَقْدَامِنَا ،
وَنُدْعَكَ الرتوشَ ،
وَنرتَّبَ ابتساماتٍ مَآكِرَةَ

وَإِنَّ عَلَيْنَا جَدَلَ السَّائِرِينَ ،
وَقَهْقَهةَ الْأَطْرَافِ ،

وشماتة الأصدقاء،

وحُبُّ الحضور

خطوة تراقصُ قبلها

خطوة تصحبُ وجهتها

خطوة

أمرنا في يديها .

لَيْلٍ

وحيداً

كنتُ أرقبُ الليلَ

كانَ ينمو منذُ أكثرَ منُ ساعة

ووحيداً

كنتُ أخذشُ وجهَ الظلامِ

كانَ يعلو الدارَ

ويموتُ عندَ العتبةِ

ووحيداً

كانَ المصباحُ يمطرُ

عندَ الزاويةِ الضيقةِ

ووحيدةً
الفتاةُ تتأقَلُ
يُلْبِسُهَا اللَّيْلُ حُطَاها
يُرْكِنُهَا هَاتِفٌ
تُقَلِّبُ أَرْقَاماً
تَأْنَسُ دِفْئاً
فتصْفَحُ الشَّوْقَ
وتَأَلِّفُ كِتَابَ الظُّلْمَةِ

وحدُهُ
القمرُ يُخْلِى السَّاحَةَ

ووحدها
العِثْمَةُ جَائِثَةٌ
تَحْرُسُ الْبُيُوتَ وَاللُّصُوصَ
وَالْقَطَطَ وَالسُّكُونَ
وَالهِدَاةَ الْمُسْتَيْقِظَةَ

البيوتُ وحيدةً
تَقْطُرُ نُعَاساً
وَتُهْدِدُ شَهْوَةَ النَّائِمِينَ

وَفَوْقَ الْقَبَابِ

بَلَلُ الصَّمْتِ

يَرَسُو

وَمَكْبَرَاتِ الصَّوْتِ

فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ

وَحِيداً

الْعَالَمُ

يَغْرَقُ

وَوَحِيداً

الْعَالَمُ

صَبَاحاً

يَطْفُو .

عطلة

أَكْثَرُ مِنْ شَهْرٍ
وَوَطَّأْتَنِي
فَتَلَمَّمْتُ وَقْتاً
وَتَصَاحِبَنِي كُلَّ نَهَارٍ

أَعْرِفُ أَنِّي
لَا أُشْرِكُ فِيهَا أَحَدًا
أَعْرِفُ أَنِّي
لِي وَحْدِي
كُتَيْبِي
وَقِصَائِدَ يَوْمِي
أَعْرِفُ أَنِّي

لَا أَخْرُجُ لِلنَّزَهَاتِ
أَوْ تَتَدَاوَلَنِي الْعَادَاتُ
لَكِنَّ
مَطَرٌ مِنْهَا
يُعْشِبُ قَلْبِي
يَمَلُّونِي بِالدُّنْيَا
يُخْصِبُنِي بِالشَّهَوَاتِ

أَفْقَهُ فِيهَا
سَلَّمَ رُوحِي
أَعْدُوهُ
أَخْبَاراً لِلرُّوحِ
وَأَنْبَاءً لِلرُّوقِ

لَا شَيْءَ يَكَابِرُ بَيْنَ يَدَيَّ
وَأَنْتِ حَفِيفُ الْقَنَوَاتِ
وَأَنْتِ قُتُوَّةُ مَاءِ الرِّغْبَاتِ
وَأَيْضاً
أَنْتِ هُنَا

ريفُ الكلماتُ

أَسْتَبْقِي أَوَّلَكَ

أَسْتَبْقِي آخِرَكَ

أَغْفُو بَيْنَهُمَا

أَهْطَلُ وَاِدٍ مِنْ قَبِضَاتُ

أَرْمِي شَغْفًا مِنْ جَوْلَاتُ

أُشْعَلُ بَابَ قَصِيدُ

إِذْ يَرْمِي بِي عَمَلُ

أَوْ تَقْذِفْنِي نَوْبَاتُ مَشَاغَلِ تَافِهَةِ

سَأُكْوِمُ أَيَّامِي

سَأُجِيزُ لِنَفْسِي أَلَّا يَعْتَادَ جَوَانِبُهَا أَحَدُ

وَسَأَهْفُو

بَلَلًا مِنْ أَلْفَاظِ

أَوْ أَلْفَاظًا مِنْ بَلَلِ

وَسَأَغْرُقُ فِي اللَّجَّةِ

أَقِفُ
يَقِفُ الْعَالَمُ
تَقِفُ الْحَرِيَّةُ
وَجَمِيعاً
نُتْرَاشِقُ هَذَا الْعَطْلَةَ .

بيت

(1)

كلّ نهارٍ
ترمّقه الشمسُ
ولا يلبثُ أن يرسم ظلاً
يساقطُ في كلّ الأطرافِ
ويعدو صوبَ الجدرانِ
ويلبسُ كلّ الخطواتِ

(2)

البيتُ جثوماً
يقطفُ ماءَ النظراتِ
ويستودعُها غُرفاً
وحضوراً

يَنْقَشُ غَيْبَتَهُ
يَسْتَمَطِرُ صَحْوَ الظَّهِرِ
وَيَلْقَفُ وَبِلاً
وَبِلٌّ مِنْ أَوْبٍ
وَبِلٌّ مِنْ غَدْوٍ
هَذَا الْبَيْتُ

(3)

الْبَيْتُ قَعِيداً
الْبَيْتُ يُصَاحَبُ هِدَاتَهُ
الْبَيْتُ يَدُقُّ الشَّارِعَ
وَالشَّارِعُ يَصْفَحُ أَوْرَاقَ المَارَةِ
وَالْمَارَةُ تَهْمَسُ فِي الدَّخْلِ وَالخَارِجِ
تُلْقِي أَعْبَاءَ اليَوْمِ
وَتَلْقَفُ نَوَاءَ المَشِيِّ
وَتَسْكَبُ أَرْصَفَةَ الوَجْدِ
تَهْدُ جِدَارَ الصُّحْبَةِ

(4)

يَتَدَكَّى هَذَا الْبَيْتُ
لِسَانًا مِنْ عَتَبِ
الْقَاطِعِ أَوَّلُهُ
وَمَرَايَاهُ ضِيُوفُ الْحَيِّ
وَحَدِيقَتُهُ كَسَمَاءِ الْقَلْبِ
وَنَافِذَةُ الْعَرَبِ
كَنَافِذَةِ الصَّبْحِ
مُشَرِّعَتَانِ
تُطْلَانِ عَلَى فَيءِ الْعُمْرِ

(5)

الْبَيْتُ،
تَسْبِقُهُ النَّخْلَةُ
تَعْلُو السُّورَ
وَتَشْرِكُهُ أَلْوَانُ شَجِيرَةِ صَيْفٍ
تَقْفُو عِنْدَ شَجِيرَةِ لَوْزٍ
لَا تَسْلَمُ مِنْ صَبِيَّةٍ رَمِيٍّ
وَالشَّارِعُ لَا يَهْدَأُ مِنْ أَبْيَضٍ وَرَدِيٍّ

أَوْ أَحْمَرَ مُخْضَرٌ
أَوْ وَحْيٍ بِيَاضٍ
أَوْ نَظْرَةَ عُشْقٍ تَتَطَايَرُ فِي الظُّلْمَةِ
تَتَشَقُّ،
بَيْنِ الأَحْجَبَةِ السُّودِ
وَتَسْعَى
تَدْرِكُ وَطَاءَةَ قَلْبٍ
تَدْرِكُ أَنَّ الرَّابِضَ يُكْتَتَبُ
تَدْرِكُ أَنَّ قِطَافًا فِي يَوْمٍ
يَتَدَلَّى فِي غَيْمٍ
يَتَدَلَّى فِي جُمْلَةٍ عَمْرٍ
يَسْكُبُهَا صَاحِبُهَا
لَا تَخْدَشُهَا دَفْقَةُ صَيْفٍ
أَوْ يَتَنَاوَلُهَا ثَقْبُ نَهَارٍ جَافٍ .

حالات

(1)

لَمْ تَقْرَأْهُ الصَّبَاحَاتُ جَيِّدًا، وَرَأْسُهُ ثَقُلَ الْوَجَعِ الْآدَمِيِّ،
الْغُبَارُ بَرَسَمِ الْأَفْقِ، وَالرَّمَادِيُّ وَصَلَّتْهُ، زَخَّاتُ مَطَرٍ
مَثْقَلَةٌ بِالْوَصْلِ تَفْتَشُ عَنْ سَقَطَتِهَا، وَالسَّمَاءُ تَقْطُرُ
سَرَائِرَهَا، وَأَبْرِيْلُ الْحَالِي لَا يَصَاحِبُ رَبِيعَهُ إِلَّا نَادِرًا،
وَأَصْدِقَاءُهُ لَا يَكْفُوا عَنْ دَغْدَغَةِ أذْنِهِ بِمَا لَا يُوَدُّ
سَمَاعَهُ، وَالكَتَبُ الَّتِي يَحْتَسِيهَا، تَرَشَفُ ذَاكِرَةَ
الْآخِرِينَ
لَمْ يَعُدْ يَقْرَأُ وَجَعَهُ، وَلَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيبُهُ الْكِتَابَةَ،
الضِّيَافَةُ حَضْرَةً لَا تَجِيءُ، وَزِيَارَاتُهُ لِلْمَكَاتِبِ تُسَطَّرُ
نُدْرَتِهَا

العمَّالُ فِي البَيْتِ عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ شِعْرِهِ، وَآلَةُ القِصِّ
 تَنْشُرُ أَصَابِعُهُ وَتَقْتَفِي وَهْدَةَ الحَيِّ وَتَلَاخِقُ وَبَلَهُ
 كَلِّمَا عَاوَدَتْهُ النُّوبَةُ أَرْخَى يَدِيهِ وَأَسَدَلَ الفِكْرَةَ،
 وَأَطْرَقَتْ لَدَيْهِ النُّوَاذُ، وَالسِّتَائِرُ وَاحَةٌ لِلْقَلْقِ
 لَيْسَ هُوَ كَمَا هُوَ، وَعَصَافِيرُ شَوْقِهِ غَادَرَتْهُ، وَأَبْوَابُ
 حَرْفَتِهِ سَتَّغَادَرُهُ أَيْضاً، وَالمَدَى المِصَاحِبُ يَلْزِمُ خِرَائِطَ
 رُوحِهِ، وَالمَوْجُ يَلْعَقُ بَحْرَهُ فِي وَادِيهِ، وَتَتَسَكَّبُ الأَخْبَارُ
 نَائِثَةً مَحْطَّاتِهَا قَرَبَ أَطْرَافِهِ
 مَا زَالَ فِي جُعْبَتِهِ عِلَاقُ القَوْمِ وَرِمَاحِهِمْ، يَشُدُّ أوتَاراً
 وَيُرْخِي الكِنَايَةَ وَالبَحْرَ وَقَمَقَمَ الوَقْتِ، طِرَائِدُهُ
 تَسْكُنُهُ، وَصَيْدُهُ يَقْرَبُ حِبَائِلَ الصَّمْتِ
 وَلَسَوْفَ تَسَارِعُ مِنْ يَدِيهِ حَقَائِبُ الصِّبَا، وَسَتَلْقَى
 الدِّفَاتِرُ حَنْفَهَا فِي فَنَاءِ الظَّهِيرَةِ، وَالمَدَارِسُ شَتَّى فِي
 مُلْتَقَاهَا، كَأَنَّ يَأْلَفُهَا الوَقْتُ، وَيَأْلَفُهَا القُرْبُ، وَتَأْلَفُهَا
 القِصَائِدُ، حَدَّ الشَّمْسِ فِي أَوَّلِهَا، وَحَدَّ صَعُودِ الظِّلِّ،
 وَحَدَّ رَسْمِ الطِّفُولَةِ وَالمَاءِ، وَحَدَّ أَمَهَاتِ المَنَازِلِ القَرِيبَةِ
 المِتْدَاعِيَّةِ
 السَّاعَةُ تَكْتُبُ دَقَّاتِهَا فِي عَمْرِهِ

يُفْرِغُ مِنْ أَوْرَاقِهِ غِصْنًا وَيَشْحَدُ وَطَاءَةَ الشَّجَرِ، يَمْتَطِي
سَبْقًا فَتَلْحَقُهُ الْقَطْرَاتُ، وَتَلْعَقُهُ السِّيْقَانُ، وَخَاوِيَةٌ
صُورَتُهُ، إِلَّا مِنْ مَلَاعِبِ وَفَرَّةِ الْقَلْبِ وَحَشْوِ الصَّبَاحِ
هُوَ ذَا طَقْسُ الْآنَ !!
هُوَ ذَا لُغْبَةِ الْحَالِ !!
هُوَ ذَا

(2)

أَمْسَى كَمَا صُبْحُهُ
أَمْسَى كَمَا صَادَفَهُ حَالُهُ
الَلَّيْلُ وَادِيَهُ وَالظَّلْمَةُ تَعْبَأُ بِالضَّوْءِ فَتَخْمَشُهُ
وَأَبْوَاقُ الْعَرَبِيَّاتِ تَسْرِقُ هَدَاةَ اللَّوْنِ وَتَحَاكِي صُورَتَهُ
وَالْمَدَدُ يَوْقِظُ اللَّحْنَ وَيَصِيحُ السَّمْعَ وَيَطْلُقُ جُلْسَتَهُ
النَّاسُ فِي فَنَنِ، وَالْمَكَيِّفَاتُ تَدَّخِرُ وَسْعًا، وَالْمَرَاوِحُ مَرْفَأُ
الطَّقْسِ
وَالْفُقَرَاءُ يَلْمُونَ فَوَاتِيرَ الْقِيْظِ، وَيَقِيلُونَ نَوَافِذَهُمْ،
وَيَرْمُونَ أَبْوَابَهُ
هَا هُوَ بَحْرُهُ

وها هي سفائنه مدعوة للرحيل ساعةً،
وساعةً يقرُّ بها القرارُ

هنا مستقرُّ

لا قرار له

أو

لا فرار له

هُوَ ذا حاله.

(3)

إذ لم يوصِ سيِّدةَ الحالِ أن تتبَّعه، ولم ترقُ له ظنونَ
الفرائصِ ، ولم يُحسُنْ له الصبرُ سيرورتَه، ولم يُشْفَ به
ألمٌ، ولم تسبقْ له الريحُ هبوبها، ولم يمكثْ به اللَّبثُ
لحظاً، ولم يؤلمْ به القمرُ ضوءاً، ولم تصدِّقه نبؤاتُ
الوصايةِ، ولم يصادرْ ماءَ حالتهِ، ولم تعْظُ الطرائقُ
أغنياتها، ولم تُفقْ بين جوانبه سكرةَ الأمسياتِ
إذ يُفندُ جبهةَ الليلِ، والحبائلُ أغنياتُ العتمةِ، والعشاقُ في
مراكبِ الأجسادِ، والرطوبةُ سعفُ المنازلِ، والحدائقُ
فرحةَ الصمتِ وماءُ الأرخبيلِ وساحلُ الحبِّ

(4)

الريبةُ فوقَ الجبلِ
الريبةُ أسفلُ
الريبةُ أوّلُ
الريبةُ آخرُ
الريبةُ ربيعُ الوقتِ وفتنته

(5)

وقوفاً
شمسُ روحه تُلقى أسبابها
والغيومُ الأليفةُ تغادرُ أمطارها
والسماءُ سقفاً من حضورٍ وغيابٍ
السماءُ فضةً
والنحاسُ قلمٌ
وقلبه طيرٌ نهارٍ حميم .

وردة الكلام

أخيراً

ثُمَّ مَنْ يَرْنُو إِلَيْكَ

وَأَنْتَ تُبَسِّمُ الطَّرِيقَ

وَعَلَى حَافَةِ فَهْقَهَةٍ تَرْنُ

أَصْدَاؤُكَ مَوْجُ الْيَدِ

وَشَاطِئُكَ الْخَطَى

تَهْرَبُ مِنْ مِيَاهِكَ الْأُولَى

وَتَجْزَعُ فِي النَّفْسِ اللَّاحِقِ

كَاخْتِلَاجَاتِ الصَّبْحِ

أَوْ كَفَوَّهَاتِ الْمَدِيحِ

كَأَنَّ يَقْرُوكَ الْعَمْرُ
أَوْ يَقُولُكَ الْوَطْنُ
هَلْ تَطْرَأُ الشَّهْوَاتُ ؟
وَهَلْ تَسْتَفْزُ الطَّرَائِقُ ؟

رَدْحًا يَحْيَاكَ اللَّيْلُ
وَيَغَالِبُكَ الْمَدُّ

وَعَلَى طَلَلِ الصَّمْتِ
وَرَطُوبَةِ الْقَدُومِ
تَصْنَعُ أوتَاراً
فَتَنْهَضُ الْأَغْنِيَاتُ
وَتُؤَطِّرُ الرُّوحَ
وَرَدَةً مِنْ كَلَامٍ .

مكتبة

يحدثُ أنْ تَسْتَفِرِّكَ هَذِهِ الْغُرْفَةُ
الَّتِي قَطِنْتَكَ حَدِيثاً

يحدثُ أنْ ترمي إِلَيْكَ شعراءَها
الأحياءَ والموتى

يحدثُ أنْ تَلْقَفَ فِيهَا قِصَائِكَ الْمُمَرَّزَةَ
أَوِ النَّائِمَةَ بَيْنَ الْأَغْلَفَةِ

يحدثُ أنْ يَرْتَقِيكَ سُلْمُهَا

يحدثُ أنْ تَسْعَى بِكَ طَرَائِقُهَا

يحدثُ أنْ تَلجَّ بكَ الأمورَ وتفضي أحاديثُها

يحدثُ أنْ تتبادلا سلَّةَ الروحِ والأشعارِ والقاطنينَ
والمختلفةَ قلوبهم والغرقى

يحدثُ أنْ تمتطيكما كتبُ الصمتِ وأرْففُ الحضورِ
وأفكارُ التشرّدِ وأحلامُ اليقظة

يحدثُ أنْ تولدا معاً
ويحدثُ أنْ تموتا معاً.

موت

إلى علي بن عبد الله آل إسماعيل

أبداً

لمْ يغادرنا

مُدَّ غَادَرْتَنَا طَقُوسُهُ

لَمَّ طَفُولَتَنَا فِي عِصَاهُ

كَانَ يَسْتَقْرِئُنَا وَاحِداً وَاحِداً

وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَخْطِئُ أَوْ يَتَرَجَّرُ أَوْ يَصْمِتُ

كَانَتْ تَلُوحُ

أَوْ كَانَتْ تَسْقُطُ

لِكَنِّهَا

حَرْفِنا الأَوَّلُ

أَوْ قُلُ

بَابِنا الأَوَّلُ

وأمسُ
 أمسُ فقط
 كانَ النبأُ
 لا يسقطُ هذا الرجلُ من أجندتنا
 لا تراحمهُ أشياءُنا
 لا تُغيبُهُ المسافةُ
 لا يبعدهُ الموتُ
 لا زلنا نستظلُّ سريعَ كلماته
 ولا زالَ حثيثاً يكتبُ فينا حرفهُ وعصاهُ
 والمدَّةُ ❖
 إذ يُصيفها
 يلقفُ في أطرافها صغارَ قريةٍ
 يبسطونَ قراءاتهم
 ويبسطُ هو سمعهُ وذاكرةً لا تخطئُ
 من يجراً منّا أن يغادرهُ ١٩
 من يجراً أن يغادرَ قرآنهُ ١٩

❖ المدَّة، هي ما يطلقه أهل البحرين على حُصْرٍ تُصنع من أعواد نباتية خاصة، وكان المرحوم مُعلِّمُ قرآنٍ يعملُ في صناعة هذه النوع من الحُصْرِ التي تكاد أن تندثر حالياً.

حديقتي

في هذا المسِّ
أرتديكِ
صباحاً
ومساءً
وكلَّ ظهيرةٍ
وأرتقي جانبك

أخلعُ الظلَّ
ألبسُ جدارك
وأذرُغُ الماءَ
وأُكملُ الشجرَ
كأني هبوبُ العمرِ

كأني مهرجانُ الجذورِ
وكأني غمامُ مطرِ

خمسةَ عشرَ عاماً
وأنا أنزعكِ الوقتَ
والقيظَ
والسقيَ
والعرقَ
وتذروني الرياحُ كلاماً
ويذروني الكلامُ ورقاً
وتذروني الأوراقُ حُضرةً
وأسقطُ في بهوكِ
لوناً
أو رحيقاً
أو بهجةً للشفقِ
ومدُّ غادرَتكِ العصافيرُ
لا يهدأ الصمتُ

ومذُ أفرغتِ رُوحِي
لا ديببَ إلا اللبثُ
ولا لغوً
إلا الصفو والغمسِ
واجتتابِ الطرائقِ

وإذُ
أُغنيكُ
بالماءِ
والغمامِ
تقدحينَ العُمرَ
وتشربينَ
من طرِيفِ
أو
من إنائي

وحينَ
أُحاذيكُ
فأنتِ

تستظللين صباحي

والفجرُ

يُذَرِّزُ

الضوءَ

ويُنثِرُ

الزهوَ

والفصولَ

والعاصفة.

صَمَر

طَرُقُ فِي الْبَابِ

طَرُقُ فِي الْقَلْبِ

طَرُقُ فِي الطَّرِقاتِ

طَرُقُ فِي النَّدواتِ

طَرُقُ فِي الْجَدْرانِ

طَرُقُ فِي كُلِّ مَكانٍ

طَرُقُ فِي الْأَسْماءِ

طَرُقُ فِي الْأَحْياءِ

طَرِقُ فِي الْأَمَوَاتِ

طَرِقُ .. طَرِقُ

طَرِقُ .. طَرِقُ

وَأَنَا أَطْرِقُ هَذِي الْوَرَقَةَ

.....

.....

مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ.

أفق

إلى أحمد المناعي

سكرةُ الروح تُشعلُ أوردَةَ الطاولةُ
نشوةُ الصمتِ توقدُ ذهنكَ فينا
وأنتَ حميمُ النهارِ
وأنتَ شيباكُ المساءِ
وأنتَ صديقُ الكتبِ

وكأنَّ

نبحثُ الآنَ عتًا
حيثُ لا نرتضي نكهةً
حيثُ لا تتداولك الأغنيةُ

وكأنا
في رواقِ الكلامِ
تبعُدُ الآنَ فينا
وتكاتبُ نافذةَ الأسئلةِ

أهُوَ الحرفُ في رسمِهِ؟
أهُوَ الشكلُ في روحِهِ؟
أمْ هُوَ الخطُّ في غيمَةٍ مثقلَةٍ؟ .

قِيْظ

العَشِيَّةَ

لَنْ تَغْمِرْنَا الرُّطُوبَةُ

وَلَنْ نَكْتَشِفَ

قَطْرَاتِ الْمَاءِ

فِي مَسَاءَاتِ جُلُودِنَا

وَلَنْ نَجَادِلَ الْخَارِجَ

وَلَنْ نَتَشَابَهَ الْعَرَبَاتِ الْغَارِقَةَ

بَلْ

سَنَهْدِي أَجْسَادَنَا لِلْمَكِيَّاتِ

وَنَقْتَعِدُ أَنْفَاسَنَا

وَنَرشُ الْمَكَانَ ظِلَّنَا

.....

.....

وهنا

ما الذي يستقيم ؟

أَهُوَ صَحُونَا

أَمْ صَدَاهُ،

أَمْ هَذَا الْكَلَامُ ؟

وما الذي يطفى ؟

نَبَاتُنَا،

أَمْ وَجْهَهُ،

أَمْ مَا يَحْكِيهِ الظُّلَامُ ؟

....

....

رَبِّمَا نَمْرُقُ بَيْنَ أَيْدِينَا

أَوْ رَبِّمَا نَدُقُّ مَنَازِلَ الْحَيِّ

أَوْ رَبِّمَا تُوزِّعُنَا الْمَدَاخِلُ

بَيْنَ الْخَطِيئِ

وَالرُّؤْيِ

أَوْ رَبِّمَا تُشْعَلُ

غيوماً

أو روائحَ

.....

....

أو

ربّما أيضاً

نستقطُّ

قيظاً

. هنا .

في اصطلياد قصيدة

أبدأ

لنْ أَصَلَ مِنْ مَحَطَاتٍ لَا تُشْبِهَنِي

بَلْ

سَأُغَادِرُ مَوْقِعَ الْأَمْسِ،

وَسَأُظَلُّ

أَمِيناً لِلظَّلَالِ الَّتِي تَلْزَمَنِي،

شَاحِذاً رَأْسِي،

مُكْتَبِطاً بِالْعَصَبِ

سَأَمْكُ مَحْصُوراً بِالْحَالِ،

مُتَّقِداً فِي الضَّرُورَةِ

وَسَأُشْعَلُهَا جِهَةً تُصَلُّ

وحاضراً
أسحبُ غيمةً ،
وأهطلُ رذاذَ لفضٍ
تصحبني فوضى الماءِ
وفضاءَ العشبِ ،
ومتغيرِ الرفقةِ

وبالبداهةِ
سأظلُّ أميناً للجوانبِ

إن شئتم سبقَ الحُجراتِ ،
أو شئتم أرائكَ النومِ ،
فلتخلدوا ، كنومِ يدي

وإن اقتعدتم فرائصَ العمرِ
في ثوبِ اللحظةِ ،
فلتدوّنوا وحدتي

وبالسهولة
لن أتدبرَ عِظاتي،
وبالسهولة
لن أستسهلَ نُبشَ الأسماءِ،
وسألأزمُ حجابَ الأفقِ

وكي لا تعرجَ وردةُ روعي سلالِمَ الليلِ،
تسقطُ الرائحةُ في منتجِعِ الشمِّ،
كأني غيرَ مكتظٍّ بالأشواقِ
وصوتِ البسطاءِ،

وسأظلُّ وفتياً لوحدتي،

وسأظلُّ آتيك من مكانٍ أرتقي إليه
كأني ملكُ الصعودِ
وأنحدرُ إليه
كأني ملكُ الانحدارِ

أحاصركِ باليُثمِ، مُتَيَقِّناً صلواتي،
وموقظاً أحاسيسَ الضياءِ، موسوراً
بالأغنياتِ، مكتوباً بالشقاواتِ،
ومختوماً بجناحِ الإيابِ

سأُصلحُ ما تبقى،
وأهدُ زُرقةَ الكلامِ،
ولنُ تجديَ السواحلُ أو رأفةَ البحرِ،
بلُ سأقتفي أثرَ الموجِ في أطرافِ،
قطرةً قطرةً...

وبالقطعِ،
عندما تحاولُني الأيامُ
سأُمسِّيكِ حافةً تصطافُ في لَبْثي
وسأُجمعُ شتلاتَ دخولي أزهاراً لخروجكِ

وبالظنِّ،
سأُخيِّبُ عالماً قانظاً،
وسأُجملُ ما تبقى منْ نخلاتِ

وَأُكَوِّمُهَا جَمْرًا لِنَهَارِكَ

تُرى هل تُسَعِّفُنِي الأبوابُ، أم
تتداعى النوافذُ في رِقَّةِ التَكْسِرِ،
أم تتألقُ الجدرانُ فَتَنَهَمِرُ؟

وبِمَقْصِدِي،

لن أُحِيطُكَ بَعْدًا،

ولنْ أَسْتَصْغِرَ فَيْكَ الأَصَابِعَ،

ولنْ أَتَوَجَّسَ خَيْبَةً

بلْ سَأَنْصِبُ حَبَائِلَ اللُّغَةِ

وَأَقْطِفُكَ

صُورَةً

صُورَةً .

يَد

غصنٌ
يتدلّى مِنْ رَأْسِي
حتى هذه الورقة
أحياناً
يسدلُّ لي نُصْحاً
وأحياناً
يرميني بأوراقِ الساعة
يتدلّى مِنْ جسدي
وأنا أُهرولُ في أروقةِ الهواءِ
كأنِّي قَلَقٌ
لا يستقرُّ لي سقوطٌ
ولا حالٌ من الأفقِ

وكانَّ قوافلَ الأمرِ
تسيرُ على هامشِ الرجفةِ

وفي نوازعِ الصورةِ
وفي جحيمِ اللحظةِ
لا تلبثُ أن تُنبئني هذه القصيدة .

هدية

كأني أكابدُ يوماً يُكاتبني ليلُهُ
كأني أفخخُ وضعاً يُصادقني فجرُهُ
فتتدى القراءاتُ
تتدى الصلاةُ
ويندي النشيدُ
ويُهدي الطريقُ الصباح.

حينَ تقولُ الشمسُ غروبها

هذا القلمُ
لا تكادُ أصابعك تفارقه
خوفاً أن تهزمك القصيدةُ
بين أفكارٍ تطاردك في الممشى،
ومشاعرٍ تبخسك حقك في الاصطياد

حينَ تقودُ الشمسُ غروبها،
فقرتكَ المترامية الهوامش في الرواقِ الأخيرِ
تُهديك شفقاً من نهارٍ مُتعبٍ،
أو من عابري يومٍ قائلِ

وبين أن تقولَ الشمسُ غروبها،
وتفتديكَ الأمسياتُ في نهرِ الكتابةِ
صَادَرَتْ نَوْمَكَ فِي فَائِتِ اللَّيَالِي
وَارْتَضَيْتَ جَنَاحَ الْجَلْسَةِ الشَّائِكَةِ
أَشْكَلْتَ حَاضِرَ الْقَلْبِ
وَهَفَّتْ إِلَيْكَ قِرَاطِيسُ مِنْ قَلْقٍ
وَامْتَدَحْتِكَ الْأَغْنِيَا تُ فِي مَرْمَى الشِّفَاهِ الْمَرْتَقَاةِ

وللعلم،

فإنَّ نهارَكَ مَتْرُوكٌ لِلنَّهْبِ وَلِلسُّلْبِ وَلِلشَّهْوَةِ
وَلِلنَّوْمِ وَلِلبَاعَةِ وَلِلْمَشَاوِيرِ الزَّائِفَةِ
قَدْ تَدَخَلَكَ الْقِصَصُ وَالْإِشَاعَاتُ، وَالْقِصَائِدُ
وَالْأَسَاطِيرُ، وَأَخْبَارُ الْمَحَطَّاتِ، وَمُومِيَاوَاتِ
الْكَلَامِ، وَأَمْرَاءُ الْبِلَاغَةِ، وَسَاسَةُ الْكُتُبِ،
وَأَمْطَارُ الْهَزِيمَةِ

فقط،

لَنْ يَصْعَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْمِيَهُمْ سَلَّةً مِنْ حُرُوفٍ، وَأَنْ
تَمْتَهِنَ حَرْفَةَ الْقَتْلِ عَلَى الْوَرَقِ،
أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ أَنْ تَغْتَابَهُمْ، وَأَنْ تُشْعَلَ الضَّمَائِرَ،
وَأَنْ تُعْلَنَ نَفْسَكَ وَاحِدًا

وَأَنْ تُسَايِرَ صَبَوَاتِكَ ،
وَأَنْ تَقْتَدِيَ رَوَائِحَ الرِّغْبَةِ

فَقَطُّ ،

قِفْ عَلَى قَارِعَةِ السُّطْرِ ،
وَارْتَضْ مَشْهَدًا ، لِتَطْلُ مِنْ حَوْلِكَ عَلَى سَاحِلٍ
يَطْفُو بِعِشَاقٍ ، يَشْغِبُونَ الْمَجَازِفَةَ وَرُكُوبَ الْحَبْرِ
وَامْتِشَاقَ الْجَسَدِ

الرِّغْبَاتُ سَامِرَةٌ
وَالطَّرِيقَاتُ مُوَصَّدَةٌ
وَحَمَلَةٌ مِنْ بَذَارِ الصَّبْرِ ،
تُثْقَلُ الْمَعْنَى ، وَتُكْوَمُ أَفْوَاهُ الْمَسَاءِ ،
وَتَشْطَحُ فِي الصَّمْتِ
تَرْمِي أَعْنَاقَ الْكَلِمَاتِ
بِنَحْوِ

لَا زَالَ يِرَافِقُنَا
وَكَأَنَّهُ ظِلُّنَا عَلَى الْوَرَقِ
وَكَأَنَّهُ خَطَوَاتُنَا الرَّاقِصَةَ .

أَدَقُّ مِنْ وَصَلٍ .. أَرَقُّ مِنْ غِيَمٍ

شَفُّ

لِلرَّأْفَةِ

أَمْ شَفُّ

لِلْإِصْطِيَادِ؟

هُوَ ذَا الظُّهُرِ

دَافِئاً وَنَقِيّاً وَصَرِيحاً

يُجْرَجِرُ دَابَّةَ الْوَقْتِ

يَرْتَقِي الْمَكَانَ

يُجَفِّفُ رَاحَةَ اللَّحْظَةِ

وشَوْشَةٌ مِنْ خَطَاكَ تَدُنُو،
وَصَبٌّ يَدْرُزُ حَزْنَ النَّهَارِ

صَفْوَةٌ تَصْطَفِي الْقَوْلَ،
وَبصِيرَتِكَ غَابَةٌ وَجَدْرِ
أَوْ خَلْوَةٌ مِنْ فَنَاءِ الظِّلِّ،
تَحْتَسِيكَ صُورَةُ الْمَاءِ
أَوْ تَعْلُقُكَ الرِّقْرَقَةُ

آيَةٌ

تَرْشِحُ الطَّرَائِقَ وَالْعَلَائِقَ،
وَلِغْوِ السَّكِينَةِ
وَتُسَمِّيكَ هَدَاهَةً
وَتُسَمِّيكَ مَسَامَاتِ وَرَقٍ

خَطْرَةٌ

تُحَاذِيكَ
عِزَّ الْهَدَاةِ
وَتَتَمَلُّ الْجَسَدِ

الكلُّ أَخْرَسُ
سوى المكيفاتِ
وهسيسِ الروحِ
ووبلِّ القلمِ

طريُّ وقريبٌ وشقيقٌ
وكأَنَّكَ وادٍ مِنْ غفوةٍ
أو كأَنَّكَ حزمةٌ من طفولةٍ
أو كأنَّ أَمْرَكَ انسكابٌ عُمُرٍ طفيفِ

أَرَقُّ مِنْ وَصْلِ
وَأَدَقُّ مِنْ غَيْمِ
تَسَاقَطُ حَافَةٌ
تَسَاقَطُ وَهْدَةٌ
تَسَاقَطُ عَلَى أَرَاتِكَ مِنْ نَوْمٍ يَتَكَسَّرُ

سَأَجْعَلُكَ تَمَحُّرُ عِبَابِ أَنَامِلِي،
وَسَأُغْلِقُ عَلَيْكَ جَفَوْنِي،
وَسَأُهْدِيكَ رُوحِي عَلَى مِرْأَى مِنَ الطَّرَاوَةِ

تتقاطرُ القشعريرةُ،
وتدبُّ الجُنُبَاتُ،
وليسَ منَ أَحَدٍ يُقْلَعُ،
وليسَ مِنِ أَحَدٍ
يُصْحَبُ الحنِينِ
يُودِعُهُ رِفْقَةً
أو يقصدُ بهِ قريةً نائيةً

أَخْلُدُ فِيكَ
حَدَّ الشَّهْقَةِ
أَخْلُدُ فِيكَ
حَدَّ الجَوَانِحِ
وَلِيَّ تَخَوُّمِ الرُّوحِ
وَلِيَّ بَاقَةِ الشَّهَادَةِ
وَلِيَّ تَمَلُّ الصَّبَابَةِ،
وطفوُ النخلِ
ونوباتُ الاشتعالِ

وَعَظْمًا
عَظْمًا
أَنْحَلُّ
أَرْفَعُ مِنْ أَنْيْنٍ
وَأَشْقَى مِنْ نَظْرَةٍ عَاطِلَةٍ

وَحُضْنًا
حُضْنًا
أُكَدِّسُ
شَغَفَ الْأَلْفَةِ
وَرَقًا
فِي كِتَابِ الْإِنْتِظَارِ

وَطَوْرًا
طَوْرًا
أَرْتَقِيكَ حَدَّ التُّخْمَةِ
وَحَدَّ شِقَاوَةِ اللَّفْظِ
وَحَدَّ مَرَاتِبِ الْجَمْعَةِ

وشفياً
شفياً
يُنْسَلُ وَطَرُ الصَّمْتِ
يُغَادِرُ
وتُغَادِرُ القصيدة .

أمنية

لعله البحرُ
لعله سواحلُ الأطرافِ
لعله موجةُ الرملِ في رواقِ الليلِ
لعله رائحةُ الدَّقِّقِ .

مس

كَمَنْ يَمَسُّهُ شَيْطَانُ النَّخْلِ
كَمَنْ يَلْعَقُهُ الْقَطَافُ فِي الصَّيْفِ
أَرْقُبُ الشَّهْرِ
وَأَرْقُبُ نَافِذَةَ الْعِدْقِ .

ظهيرة

يعلوك بياضها
والشوارعُ دَفَقُ عجلاتِ
والحرارةُ أولُ فصلها
وماءُ الدفءِ يرتقيكُ
والهدوءُ المواربُ خلفَ الأخبارِ
وخلفَ أوسمةِ العسكرِ
يرقبُ فيكُ البيتَ
ويتياسركُ
ويتيامنكُ
كأنَّ الوضوحَ حضوركُ
والسماءُ سقيفتكُ القرية

تَمْرُ عَيْنَاكَ
وَالرُّؤْيَ صَبَابَةٌ
وَنَسِيمَكَ صَمْتُ الْغُبَارِ

الْمَشْهُدُ حَادٌ
وَالزَّوَايَا قَاطِعَةٌ
وَالصُّورَةُ مُشْتَمِسَةٌ

أَهِيَ الْعَمْرُ فِي مَهِيْطٍ تَمُوْزُ؟
أَهِيَ الشَّفُّ فِي حَرَائِقِ النَّهَارِ؟
أَهِيَ الْأَمَامُ الشَّقِيُّ؟
أَهِيَ الْوَصْلَةُ الْبَوْصَلَةُ ؟ .

ساعة

كَيْفَ تَبْدَأُكَ السَّاعَةُ ؟

أَمِنْ السَّادِسَةِ ؟

أَمِنْ الْوَقْفَةِ ؟

أَمْ مِنْ الْأُفُقِ الْمُسْتَفْزِرِّ عَلَى الْجَهَةِ الْغَارِبَةِ ؟

كَيْفَ تُنْهِيكَ عِقَابُ فِي دَائِرَةٍ !!

كَيْفَ تَحْكِيكَ دَقَّاتُهَا !!

كَيْفَ تُمْلِكُ فِقْرَةً !!

قَدْ تُرَاكِمُ فِيكَ مَحْطَّتُهَا

قَدْ يُشَاغِلُكَ طَرْقُهَا

قَدْ يُنَاوِلُكَ الْغُرْفَةَ

قد يتراكمُ فيكَ جدارُها

.....

.....

أحدٌ لا يمدُّ سواحلَهُ !!

أحدٌ لا يصلِكُ العشيَّةَ !! .

محطّات

قمرُ الوحدةِ في يديكَ،

مطرُ الليلِ يغسلُ روحَكَ،

والنجمَةُ نافذتكَ الأخيرة

سحائبُ القلبِ زرقتكَ

والقطراتُ شواطئُ يومِكَ

والجنّياتُ محطّتكُ العائمة .

محاولة

ما إن يحطُّ صبرُكَ
حتى تعلمَ أنَّ الجهاتَ بوابةُ الحضورِ
وأنَّ الريحَ شكلُ كتابٍ مفتوح

ما إن تعزمُ القُعودَ
حتى يهجسَ الرحيلُ خرائطُهُ
ويبسطُ مدائنَ السفرِ

ما إن يعلقُ الطيرُ
حتى تفردَ الشجيرةُ أغصانها
وتسقطُ
أغنيةً

للظلِّ

والجدار

ما إنْ تصطفيكَ الشمسُ بزوغاً
حتى يهرعَ بين يديكَ الفجرُ
وينثرَ الحقائقَ والنهارَ

ما عليكِ سوى أنْ تغامرَ بالوحدةِ والنعاسِ،
وتقلعُ فيكَ مياهُ الصُّبحِ، وأنْ تشدو السفائنَ،
ممهورةً يداكِ بالطلِّ، وبالقوَّةِ،
كأنَّ خريراً يقاسمكَ الشقاوةَ،
وكانَّ الأوراقَ آيةَ الرحلةِ،
وكانَّ الأخضرَ سماءَ الشرفاتِ الغائمةِ

يهطلُ فيكَ الكلامُ
تنسجُ الساحةُ أطفالها
وتتنُّ قراكِ في زهركِ
والوردةُ تساقطُ في أذنِ الخريفِ

مُقْفَرَةٌ صِبَابَاتِكَ
إِلَّا مِنْ هَاتِيكَ الْجَوْلَاتِ
وَمَنْ صِبَايَا يُمَطِّرُنْ خَلَّ الْعَمْرِ
وَمَنْ فَرَاعَاتٍ لَا تَمُوتُ .

أناس

هُمُّ هُمُّ
أَنْتَ أَنْتَ
لَنْ يُلْبَسُوكَ غَيْرَ خَرِيفِهِمْ
وَلَنْ تَلْبَسَ غَيْرَ رِييعِكَ .

صَبِيَّةٌ

أَحْمَلُ مِنْ أَوْتَارِ النَّهَارِ صَبِيَّةً، يَهْرَعُونَ لِلشَّارِعِ،
لَا تَتَدَى عَزِيمَتَهُمْ، يَطْلُقُونَ وَبِلاً مِنْ حَنَاجِرٍ، يَطْلُقُونَ
وَحَدَّتَهُمْ، وَالشَّمْسُ تُرَسِّمُ رَحِيلَهَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ، كَأَنَّهَا
ظَلُّهُمْ، وَالنَّاسُ غَارِقَةٌ فِي شَعَارَاتِ الْبَيْعِ وَفِي جُمَلِ السِّيَاسَةِ
الْمُتْرَفَةِ، وَالْعَرِيَّاتُ سِرَاعاً لَا تَسْتَبْقِي سَوْألاً وَلَا تُجَاوِرُ جَوَاباً
لَهُمْ

وَنَحْوُ هَذَا وَنَحْوُ ذَلِكَ، الْفِتْيَةُ بِقَمِيصَانِهِمُ الْمَلَوَّنَةَ بِزَهْرِ
الْبَرَاءَةِ، لَا يُوَقِّظُونَ سِوَى الْعَسْكَرِ وَلَا يَصْطَفُونَ سِوَى
أَخُوَّةٍ وَرِفَاقٍ، تَوَارَوْا قَبْلَ مُدَّةٍ

وَحَدَّهُمْ وَقِصَاصَاتِ الْوَرَقِ وَبِاقَاتِ التَّحَدِّيِّ وَقَبِضَاتِ
الْأَمَلِ

وَحَدَّهُمْ ، وَالْآخَرُونَ بِيَزَّتَهُمْ جَاهِزَةٌ .

جُلُّ الكَلامِ

جُلُّ الكَلامِ
سَيِّدُ آخِرِ النِّهارِ
يَطأُ القَلبَ
والظهِيرَةَ تُوارِثُ خَلْفَ الظُّلالِ
والهِدَاةُ تَبْرَأُ مِنْ لِحْظَتِهَا
يَهْبُ الأَفَقَ
شَفِيقاً،
لِيوْمٍ
يَكادُ
لا يَطْرَأُ .

حُكْمَةٌ

لأنَّ الليلَ وصيَّةُ الجلُسةِ ومطرُ الساعَةِ والتباسُ
الرزاذِ ووعورةُ الحُلُكَةِ وتسَلُّقُ الظلمَةِ وورشةُ
الوحدةِ

لأنَّ الليلَ وجهُ الحديثِ وقلبُ الكلامِ وجسرُ
النشيدِ واصطفافُ الهواجسِ وحِدَّةُ الحُرْفِ وخبْطُ
الشعرِ

لأنَّ الليلَ مادَّةُ النهارِ المتساقطةُ آخرَ الوهلةِ وخريفُ
اللحظةِ

لأنَّ الليلَ بوصلةُ بلا جهاتِ
قدَّ يحاذيكَ

وقدَّ يلقي إليك جوانبهُ

لا تلبث أن تهديكَ شرائطُ اللحظةِ
قرائنَ الحلقةِ
وتغورُ عميقاً عميقاً
لتبدأَ حلُكَةَ يومٍ جديدٍ .

بوابت

الصباحُ
بوابتُ الحضورِ
وقمُ الكلماتِ
مطرُ العمرِ
والشجيراتُ المتناثرةُ
تزرعُ العصافيرَ
والصوتُ قلبُ العالمِ
والعصافيرُ ندى السماواتِ
وقطرةُ الدفءِ سكرةُ الهدوءِ

مُثقلةٌ يدايَ بالأمنياتِ
ومُثقلٌ قلبي بالتنزّهِ والخرائطِ
ومثقلٌ موجي بالماءِ والمطرِ

أغصانُ الغيماتِ شجرٌ
وموائدُ الطرقاتِ نبتةُ الأفقِ

السطوحُ تنقرُ قاطنِها
والعرباتُ تصادرُ أصحابِها
والطرُقُ ندياً
تزرعُ حباتهُ يومي
والومضُ قصياً
كآخرِ الصورةِ
أو كالهجسِ في شرفاتِ السقوطِ

المدينةُ تهجرُ شمسَها
والنهاراتُ تنثرُ صباحاتها
تقطرُ غياباتِ النومِ
وتحاذيُ قلبي عمائرُها ودروبُها

أولُ الطلِّ
فتنةُ الزخِّ وسورةُ الإيابِ
وطرائقُ النورِ
قبعاتُ الفضةِ الغائمةِ .

شِتا

رؤيةً من شتاءِ القلبِ، تتلجُّ الكلماتِ، وتُشقي
الأصابعَ، وتؤلّمُ درجاتِ الحرارة، وتُدزّرُ الأجسادَ،
وتشعلُ الأفئدة

وما من طرفٍ يُجيدُ النهارَ ويُسقطُ الريحَ، وما من
قسوةٍ تغضُّ النظرةَ وتقصُّ جناحَ الغفوَ، وما من ليلٍ
يتجاسرُ وهذا السهر

جلجلةُ الأشواطِ، وخببُ الكلامِ، وهتكُ الهسيسِ،
ووشوشةُ الصورِ المتناثرةِ، وقرائنُ الحمّمة

تَلْكَ آيَاتُ، تَقْطِفُهَا نَجُومٌ، وَتُورِقُ فِيهَا الْأَبْدَانُ، وَتَبْذُلُهَا
الْأَطْرَافُ، وَتَسْتَحْتُّهَا الشِّتَاءَاتُ، وَتُلْقِي مَزَاعِمَهَا
الرَّعْدَةُ الرَّاعِشَةُ

خَطُّ هُنَا
أَوْ خَطُّ هُنَاكَ
وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مَدْفَأَةٍ
سِوَى حِصَادٍ
مِنْ جَمْرِ الْحَبِّ
أَوْ جَمْرَاتٍ مِنْ بَيَانِ الْجَسَدِ .

مساء

المساءُ في الخارج
مدينةٌ

يتترهُ فيها القلبُ
والجهاتُ

تُحاصرُ الغروبَ

وتُلقي مطرَ الشروقِ

وتُدلقُ كأسَ الذاكرة

ثمّةَ عشيةٍ تطلُّ

ثمّةَ عشبةٍ تُلقي ظلالها

وثمّةَ حضورٍ يدلفُ الساحةَ

وثمّةَ وقتٍ ينمو ليلهُ عند بابي

وثُمَّ مطرٌ على الرخامِ

وحدائقُ ماءٍ

وتقاليدُ نهارٍ مات

صفحةٌ من قمرٍ

يكتبها الدفقُ

ويكتبها الانتظار

مرايا العُتمة تسكبُ نومها

والغفوة شديداً الغيمِ

وديمةُ الحلمِ

نهرُ الهدأةِ

وترقرقُ فجرٍ حميمٍ .

عيد

الشفيفُ يُلقى بساتين الليلِ ويغادرُ عتمتهُ، والهمسُ
مصاييحُ القلبِ، والتمتماتُ ورَيقاتُ الأنجمِ، والقطراتُ
سماءٍ من ضفافِ اللقطةِ، والريحُ تألفُ هبوبَ الأصابعِ،
والقمرُ سقْفُ الشتاءِ وجدرائهُ، وعاريةٌ تويجاتُ الحبِّ
وبراعمهُ.

للنداوةِ صورتها وللرطوبةِ منازلها، وللساعةِ قسوةُ
البرودةِ، وللحظةِ احتدامُ المطرِ
الليلةُ قارسةٌ والعيدُ شرفةُ الغدِ، والسنةُ تألفُ
أواخرها، والقادمةُ بابُ الوقتِ ومفاتيحُ الولوجِ
كيفَ يشخصُ القمرُ؟ وكيفَ يرتجلُ الأفقُ؟ وكيفَ
يرتحلُ الغيمُ؟ وكيفَ يتواطئُ العمرُ وشتاءُ العامِ
وآخرهُ؟

تطيرُ الأغنياتُ والغمائُ جوانبها
تحطُّ الأغنياتُ والشجيراتُ هوامشَ أجنحةٍ وخبُطُ
هواءٍ يتكسَّرُ
فارغةٌ فقراتِ الليلةِ
فارغةٌ فقراتِ العامِ
فارغةٌ فقراتِ العيدِ
فارغةٌ
إلا مِنْ أحمقٍ تغدو خطاهُ قفزةً حلمٍ من شرفةِ
جنونٍ .

وجّهت

وَجْهَةً

فِي أَوَّلِ النَّهَارِ

تُمْطِرُنِي الطَّرِيقَ

وَتُنْفِصِحُنِي الْجُدْرَانَ

وَتُلْقِنُنِي خَطَايَا

تَفْتَحُ مَوَائِدَ الْقَلْبِ

تَلْفِظُ شَفَةَ الْحَدِيثِ

أَلْقَطُ حَجَرَ الْكَلَامِ

تَتَدَى فِقْرَاتُ الْمَشِيَّةِ

كَالْغُلَافِ

كَالزُّرْقَةِ

العرباؤُ تقطُرُ أنفاؤها
الحقائبُ تصحبُ دفاؤها
والصبايا يهطلنَ كفيماؤِ الصباؤِ .

مدينة

وتلتف لديّ دروبها
لا أفهمُ منها غير طرقاتِ رُوحِي
ولا أستطلعُ غير تقاطرِ نهاراتها
ولا أهجسُ سوى دمي
ولا ألمٌ غير مطرِ الحجارةِ، وغير طراوةِ الترابِ، ونداوةِ
الجدارِ، ووشوشةِ النوافذِ، وسقطَةِ السعفِ في فضاءِ
النخيلِ، وتناولِ العصافير لهذا الطيرانِ، وحمامةِ
الأصدقاءِ، وشقاوةِ المتاجرِ، وثرثرةِ العمائرِ، ودفقِ
العرباتِ
كما لو أنّي، لا أعبرُ فيها غير جسدي، وغير جوانبِ
الريحِ، وغير هذا التناثرِ

كما لو أنّي، لا أبتغي ذاتَ اللحظة، أن تغمرني منها
سماءٌ من صيفي ومن شتائي
كما لو أنّها ألقُ النهارِ
كما لو أنّها غمامةٌ قلبي
كما لو أنّها المنامة .

ممشى

كما لو أنّ النهار الغائم يُلقى تماثمه على جسدٍ مُتعبٍ في
ساقينٍ من مَشْيٍ، وينثرُ بذار العالمِ في قدمينِ تضحَّانِ
الرغباتِ والرياضةَ ورَهْوَ العضلاتِ للقلبِ والروحِ، ويُرخي
نقائضه على كراسي الممرّاتِ، ويزهرُ أفئدةَ الساحلِ
المجاورِ والمتآكلِ منُ صداقةِ الردمِ ومكائنِ الرملِ

كما لو أنّ الغروبَ يصادفُ أقنعةَ السحابِ على مرأى
من عمائِرٍ، لا يصحبها رهجُ العشّاقِ أو لهوُ المستثمّرينِ
أو حدقةُ المالِ

فقط ، لو أنّك أعدتَ صحوَ التوازنِ ومطرَ الدقائقِ،
لأبقتك الأحوالُ بقعةً من عزلةٍ لا تنام

فقط، للمارة هذا الكم من اللحم البشري، ولي
حاجة من سلالم الوحدة ومن مريع الأمن وطمأنينة
الساق وراحة اليدين وكف الشجر

فقط، نعاهد غدنا أن يعاودنا ونتزاور كالمطر

وعلى بضعة أشواق، يُكملُ شرقُ المدينة غربها، ولا
نُلقي من أرديتنا سوى طرائف النهار أو رعشة الغروب
أو فسحة الأفق، وللعربات شأنها في اصطفاف لا يغادر
أصحابه ولا يضاهاه فعلته، سوى ماء الغسيل وأوانيه
وأغرابه . وقريباً منا، النوارس تألف عوم الطرقات في
المدينة وصورة البحر في الزجاج ورشفة السماء .

غرق

كمثل هذه الحالة
يشغل القلب جهاته
يمتهن موسيقاه في الورق
وعلى المرأى، كلمات مُلقاة بين أطراف الأصابع
وفي السمع، يتقاطر الماء المغادر
واستوطنت يسراه، حشود من كتب الشعر
ويمناه مغلولة، سوى من هذا الدفق
يحدق في سقف الأمر
جدرانه دون نوافذ
أو أمم
أو خريف من هبات
أو قواعد لبيت من ذاكرة

يصفحُ ليلهُ
ونجومهُ غرقى سطورهِ
والهشيمُ بحرٌ يتكسرُ
والسفائنُ جانبها الطَّفُؤُ
والسفائنُ جانبها الجَنَبُ .

نخلت

كأنها واجهةً لنهارٍ يقومُ
كأنها سماءٌ لدروبٍ تتجددُ
كأنها سحائبٌ غيمٍ ينشرُ ظلًا
وكانَ الترائبُ تشربُ من عصافيرها
وكانَ الصداقاتُ صبايا طفولتها وتفاصيل
أعناقها
وكانَ الجفافُ لمْ يلازمها
تستقيمُ فيها الأغنياتُ والأحداثُ والعشاقُ
وتفضحُ هذه الفضاءات أسرارها
تجفُّلُ فيها الرجالُ
وتلقي عزائمها

خريراً من أفقٍ مشطورٍ

تتناولُ والليلُ ، النجومَ وحكايات الصمتِ

وثُقفلُ المواضعِ المتساقطةِ

وتفتحِ ولأثمِ الصمودِ

تتشعرُ فيها الروحُ وماءُ الكتابةِ

ويوهنُ فيها الجسدُ وجبلُ الحروفِ .

مِيدَان

حشدٌ من ظلالٍ ترسمُ جدرانَ الكلمات
جمعٌ من بصيصِ ضوءٍ يتسلقُ الجنباتَ وسلاالم الأجساد
ومصابيحُ أرختْ وجهتها وأمطرتْ لهاثَ الطرقات
والنومُ لغةٌ تتسجُ أصحابها من حفيفِ الأمل
والنشيحُ يلملمُ وطأتهُ في دفاترِ الأمهات
ومنازلُ رجفٍ تقطنُ شعاراتٍ وأحلامٍ لا تبادرُ
يصخبُ الليلُ في السطوحِ ويُلقي أنفاسَ العشقِ

الأغرابُ على الأبوابِ

والرشُ ماطرُ

والنجومُ حرائقُ من سحائبِ شاخصةٍ

والشتائمُ رماحُ طائشة

الميدانُ على العتباتِ
الحقيقةُ ممددةٌ في الشارعِ
ينحني الموتُ على الأفقِ
يلفظُ فيه المصيرُ .

مشهد

الشمسُ تُلقِي رداءَهَا
والأفقُ ساحةً نهاراً يَغادرُ
والفتيةُ لهم الشفقُ المواربُ
يُشعلونَ وقتهم
والظلالُ لا تفهمُ غير الرشقِ
وغير موائد الهتافِ
تتبادلُ والأغرابُ الطرقاتَ
والقذيفةُ سيِّدةُ
والقذيفةُ لغةُ
وعنيفةُ هي الوجهةُ
والريحُ تكتبُ موتها
وتختصرُ الأعمارَ

وتبذُر المآثمَ

وكأنَّ الأحياءَ مشرُوعُ عظامٍ

وكأنَّ العظامَ رايةُ الأحياءِ .

أمسيات

في أمسياتٍ لا تصاحبُ عاشقيها
كان لي الرفقةُ
في زُدْهاتٍ لا تهادنُ سالكيها
كان لي الجوارُ
في شُرُفاتٍ لا تناصرُ ناظريها
كان لي أُلْفَةُ القمرِ

واعتراني شفُّ
وارتضاني مسُّ من هسيسٍ لا يجاملُ قاطنيه
أحاذرُ أطرافَ القلبِ وجنباةِ الساحةِ القريبةِ
وأقفالَ النهارِ وشعائرَ الروحِ ودفقَ الجنونِ
طَرُقُ يُشاغلُ أبوابه، وينحلُّ من ضجيجِ

ومفاتيحُ تُلجَمُ الأصابعَ وتُوقَ الدخولِ وحربَ
الحروفِ

ثَمَّةٌ من يبادرُ
ثَمَّةٌ من يُلغي مواعيدهُ ويقرأُ الوليمةَ وسورةَ وقتي
ويولجُ الحضورَ ويقتعدُ الألمَ وفيءَ السقوطِ

ثَمَّةٌ من يغامرُ
أَكفانهُ تمائمُ الغربيةِ
ومواقدهُ حرائقُ الغيابِ

يُلزَمُ أنْ يرتقي فيكَ الغروبُ حدائقَهُ
وأنْ ترميكَ أقواسُ الشفقِ
وأنْ يشحدَ فيكَ المساءُ طرائقَ البحورِ ورشفةَ الأملِ
وأنْ يصاعدَ النخلُ قرايبينهُ
ويُلغي أجندةَ القتلةِ .

ظلمت

ممهوراً بفاتحة الظلمة
يقضم الليل سرّ الوقت
ويمطر حنكة النهايات وحكمة الغربة
ويمنحني جزيرة مغمورة بالقيظ
فتشعني محطات من غياب
أو محطات من إياب
وتمنحني وصول العتمة

غفو من أنجم صامتة
وهد من حدائق السكون
قمر من شرفة مرتجفة
وظل من كلام ينام

هدوءٌ بين الأوراقِ
يتدفَّقُ بين أصابعي
ويعلنُ هذا الموتَ

حضورٌ لله
وغيابٌ للبشر.

نهارٌ مفتوح

مثل هذا الحنوّ

مثل هذا الامتلاء

أقسّمُ جسمي في فضاء الشوقِ وأرنو للنهارِ
أهرعُ من سكرة القلبِ إلى سكرة الكلامِ
وأشدو وقتي في تفاصيل العصافيرِ

أو في شفقِ الأغنيةِ،

المقطوعةِ على الشفاهِ

والطرقاتُ تكتبُ حضورها

والفتيانُ سادتها

والأغرابُ سوءةُ الحاضرِ

وذللُ الأمكنة

لكِ الآن وجههُ المهرجان وماءُ الشجيراتِ
لكِ احتفالُ النومِ والحلمِ وساحةُ العمرِ
لكِ فسحةٌ من جرحٍ يكتبُ يومنا
لكِ ترنيمَةُ البيوتاتِ المنهكة
ولكِ دمي النافرُ
ولكِ نشيدُ الخاتمةِ

مذُ قَطَرْتُكَ الفِضَاءاتُ
وأساقطُ الوقتِ على ضفافِ الحروفِ
وارتضيتَ طرفَ النارِ وشُغِلَ القلبِ
كَمِنتُكَ الكَلِماتُ
وأشعلتُ فيكَ الغياهِبَ ولُجَّةَ الشاطئِ ورملَ
الحضورِ

فاغراً وقُعُهُ
والمدى قبضتُهُ
والخُطى ترانيمُ الجنباتِ وشغافُ العبورِ
زهوُ الصورةِ على كفتيه
يَلْمَلُمُ حصتُهُ

مشاهدَ رعيٍ
وأحاديثَ طلقٍ
وبنادقَ غازٍ
وخنقٍ مُميتٍ

قد يرصدك الصوتُ، ويشقى بين شفتيكَ الطلقُ، أو
قد يماثلكَ الدربُ، وتهرعُ الجهاتُ مكتظةً
بالعرباتِ وبالأحذيةِ
والحشودُ أغنيةُ مساءٍ صديقٍ
والحشودُ سلالِمُ نجمٍ قريبٍ

يصطفي شعلةً من جمهرة القلبِ
يدقُّ صباحاتِ الدهمِ والمطاردةِ والخطفِ
ويلعقُ التيقظَ في رشفِ الصبحِ
يتكسرُ الفجرُ سحائبَ خوفٍ ورذاذَ نهارٍ
لا يقوم

يرسمُ أوراقاً من طرائقِ حلمه
وموائد من تظاهراتٍ لا تفارقُ رأسه

ولا تبرحُ خزائن أقماره
أو عتباتِ يومه
أو شمسَ جدرانهِ الرطبة

كأنْ لا يهدأُ فيكَ زحفٌ أو نبضٌ
كأنْ لا تبايعكَ وقعةٌ أو يحاذيكَ هتافٌ
كأنْ لا تشتركَ ذاكرةٌ أو يسعفكَ نصفُ قرنٍ

أو لَمَ في ثيابكَ فضاءهُ
كأنْ يرميكَ أفقاً من ذاتِ نهارٍ مفتوحٍ .

قطاف

صحبَ القلبُ هوامشهُ
والجنباتُ مواجعَ اليدينِ
والغصّةُ ساحةٌ للألمِ
والفتنةُ تقطفُ زبائنَها
والشارعُ حاضرُ الكلامِ وموعدهُ

أقتني يومي مهرجانَ دمٍ
أقتني النشراتِ وهزائمها
أقتني مقاطعَ شرٍّ
أبدلُ مبتغى الصبرِ
لأنهارٍ من جهلٍ
وأبواقٍ من عصرٍ

فاتَ

وما مات

الحصَّةُ جاهزةٌ

ظلمةٌ قبرٍ

أو قبرٌ ضوءٍ

أو نفوقٌ حلمٍ

ومنْ يَقْطُنُ حلماً

لا يَنْفُقُ أبداً .

صباح مُورِق

مُهْمَلَةٌ يَدَاكَ إِلَّا مِنْ تَصَارِيحِ الْأَلَمِ
وَجْهَكَ فِطْنَةٌ لَا يَبَارِحُهَا التَّعَبُ
وَاللِّسَانَ فَتَنَةُ الْقَلْبِ وَأَمْوَاجُ الصَّبِّ
وَالصُّورَةُ سَارِيَةٌ فَوْقَ سِرَادِقِ الْأَمَلِ
وَالظِّلُّ يَكْتُبُ هِيََاكُلُ الْوَقْتِ
وَالْعَصَافِيرُ تُورِقُ صَبَاحَكَ
تُشْعَلُهُ حَدَائِقُ ضَجِيجِ
أَوْ حَرَائِقِ خُضْرَةٍ
يُسْتَطَابُ فِي جَنَاحِيكَ الطَّيْرُ
أَوْ تَهْمَلُكَ أَعْشَاشُ مَهْجُورَةٍ
وَرَبِّمَا يَمْتَطِيكَ أَوَّلُ النَّهَارِ فِي سَاحِلِهِ الْقَرِيبِ
وَتُسْنَدُكَ الطَّرْقَاتُ، وَهِيَ تَنْشُرُ سَالِكِيهَا،

وتبتُّ غربةَ عمالٍ في جانبيها
وتقلُّ فيك فتيةً ، لا يرحونَ شعاراتهم
ولا يملونَ أمسياتهم الصاخبة
ولا تغادركَ الجهاتُ القصيةُ
أو تفرغُ فيك سكرتها
أو يتكسّرُ فيك حزنُها المقيمُ
أو شبهُ القلبِ
أو شبهُ الحبِّ
أو شبهُ الشبهِ

الوريقاتُ تألّفك في شجيراتِها
وتساقطُ حباتَ حلمٍ في طراوتها
والعشبُ لغةٌ من أبوابِ الصباحِ
يتناولها العصفُ
أو تتداولها المارةُ .

صيف في مدينة

يرتجفُ الصيفُ في المدينةِ
ويلقي مائدةَ الظلالِ
وتُخرجُ الأشجارُ وارفاً أوقاتها
وتُلقى شواطئُ فيءٍ تروقُ للمارةِ

هوامشُ جدرانِ توقظُ الطرقاتِ
وتسكبُ دَفْقَ الأحلامِ

تزخرفُ الأرضُ أقدامها
تكابدُ وجهتها، غفوَ إشاراتٍ وتوابعَ أرصفةٍ

يَغْفُو القلبُ، فيعلنُ نباهتهُ

ويُعلنُ الصمتَ ضجيجهُ

يرتجلُ الصيفُ قُرَى من دخانٍ ومن حزنٍ

يُريمُ الصيفُ صداقاته، سِلالَ طيرٍ ومواسمَ هجرةٍ

يفعلها الصيفُ، إذ يُمطرُ أوْسمةً من بياضٍ وحدائقَ

أطفالٍ، وتلاميذَ من هُتافٍ

يفعلها الصيفُ في حصّتي، من ربيعِ العربِ

أو من خريفِ الساسةِ

أو من رشقِ أشجارٍ، تموتُ بزينةِ النبعِ

يكتبها الصيفُ، نباتاتٍ وقواعدَ من زهورٍ راحلة .

حفاوة نبع

عليّ أن أشحدَ رأسيَ بمعاطفَ من ريحٍ
وأن أليجَ فراغَ يومي بحقائبَ من ضحى النهاراتِ
وأن أكملَ ولادتي في خزائنِ الراحةِ
وأن يستقرَّ بي الحالُ في أنهرِ الظهيرةِ
وأن يحتفي بي جسدُ الحياةِ على مشهدِ النبعِ
وأن تواريني عيونٌ، لا تتفتحُ في أعماقِ العماءِ
وأن يشملني كتابٌ، بين ضفتيهِ مخدّةٌ وعلى
سطورهِ وردةٌ .

قناديل

قناديلُ مِنْ أسابيعِ وأيامٍ، تحملني إلى مثل هذه الجمعة
أكسرُ مشكاةَ الوقت، وأقيمُ احتفالَ اللَّحْظِ في

جسد الساعة

ممهوراً بصباياتٍ من طرائقِ الأصدقاء، ورفقةِ السهرِ،
وأدعيةِ الليلِ، وشكلِ الصباحِ، ودَفءِ البيوتاتِ
المأهولةِ بأنفاسِ الأمّهاتِ وجنتهم

قناديلُ مَنْ يطرقُ فيكَ صورتهُ، ويُدفِقُ دخانَ القلبِ،
ويدقُّ حرائقهُ وشهاداتِ البخورِ وأوراقِ الإقامةِ في رُفاتِ
الموتى، ويرفعُ هذا الحضورَ على مرأى من الحياةِ،
وسمِعٍ من النظرِ

قناديلُ ترشفُ نزيفاً الغُرفِ وحديثَ الأسطحِ العاريةِ
قناديلُ مِنْ سَعَفٍ ، وقناديلُ من ورقٍ

وقناديلُ لفظٍ، تدبُّ في الشارع وترمي غصنَ الصُّورِ
وقناديلُ أجنحةٍ، ترسم التحليقَ ورفرفةَ صحوٍ وخبوطَ

كلامٍ

قناديلُ نبضٍ، تزفُّ ربيعاً من قلبٍ مات .

شجر

الشجيراتُ تجزُمُ أنّ مقاعدَ الريحِ في قبضةِ الورقِ
وأنّ العواصفَ تقضمُ من الرؤوسِ ومن الضبابِ
ولا تلدُ سوى التراتيلِ،
ولا تشحدُ سوى النغمِ
الشجيراتُ تكتبُ بكائها على جسدِ الأرضِ
لا تستقي غيرَ زورقِ ماءٍ من خيرٍ، لا ينهضُ أبداً
الطيرُ يرقبُ العالمَ هدوءً شاحباً بين جناحيه
يرسلُ نهراً من روحٍ وأغنياتِ
التفاصيلُ رقعةُ قلبٍ، بنوافذٍ من شعرٍ
الوريقاتُ غابةُ فصولٍ تلبسُ أيامها
العشبُ يقطعُ هذا النهارَ
ويحضنُ هذا الصيفَ

ويُشعلُ الندى

قمرٌ يتسللُ بين سحائبَ لا تخطئُ وجهتها

قمرٌ يشربُ عزلةَ الأشجارِ وينامُ

شمسٌ تدغدغُ هذا الصباحَ وتتهضُّ .

وجود

هواءٌ في محفظة النهار
وسخونةٌ في جسد الوقت
وتحملك الشفاهُ محملاً الغبارِ
والينابيعُ لزوجتهُ الحديدِ وطراوةُ الفصلِ

وما خللُ الغناءِ في شارعِ الوجدِ
وما أهزوجةُ الشدوِ في طبقِ اللحنِ
وما شهقةُ الأشجارِ في محفلِ الأسماءِ
وما قصصُ التلاوةِ وحكاياتُ الصبايا
إلا من ماءٍ وجودك .

مساء

جسدٌ من ليلٍ
يكتبُ قمرًا

تساقطُ الهدأةُ
والشفُّ قلبُ المطرِ

الفسحاتُ ظلالُ نومٍ
والحدائقُ أغنياتُ تغفو

النخلُ راياتُ سُهدٍ
وحفيفُ صبوٍ بين عاشقين

نجمٌ من سماء النغم
لحنٌ في وردة الحروف

ربيعٌ كالولادة
وسحائبٌ عُتْمَةٌ أليفة

قَطْرٌ من يدينِ
وسلالِمٌ روحٍ بين ضفتين

يدقُّ موجُ الصمتِ
ومداخلُ الغيمِ أناملُ النبع

لا رفرفةً
لا أجنحةً من مرايا

المساءُ بقيّةُ كتابِ
والعمرُ طرفُ بيانٍ مفتوح .

وقت

إذ أصغى الوقتُ
كنتَ سؤالَ المرحلة

إذ أشعلكَ العمرُ
كنتَ وطأةَ الجسد

وطرَّ منكَ في كفتِّيكَ
ومرَّجٌ في أطرافكَ
وزهوٌ من ماءِ الورقة

يجهدُ فيكَ النهارُ
ويرمي وجهَ القِيظِ وظلالاً شائعة

حشدٌ من دقائقٍ تريقُ يومكُ
وتسكبُ سواقي الفراغِ

مكتظةٌ سواحلُك بسفائنٍ من إيابِ
ممهورةٌ جنباتكُ بكمائِنِ الحضورِ

كمنُ يقصدُ نبتةَ الظهيرةِ
كمنُ يهدرُ وردةَ الصباحِ

أرختِ الساعةُ جدرانها
أعلنتُكَ جسرَ البدايةِ

يحضركَ الليلُ قُربَ عينيكَ
تشعلهُ واحةٌ من نظرِ

يقتفي الوقتُ ظلالهُ
وأنتَ شمسٌ تصحبُ هذا الأمام .

مطرُ الصمت

صمتٌ يأكلُ أحزانَ القلبِ
ويسعى بأوراقِ العمرِ

صمتٌ يمطرُ زخاتٍ
تثقلُ واديكَ وأذنيكَ وراحتيكَ

صمتٌ كخرائبِ الغربةِ
ومواقِدِ الجنباتِ
ولا يُغادرُ عُتمةَ الكلامِ

بحرٌ من نارٍ
والليلُ يركبُ النهارَ ويثلو مائدةَ القمعِ

ويسردُ هجمةَ الأعرابِ وشظايا الحشودِ
ويقنصُ الصغارَ
وتراتيل نخلتك آيةً مبهمة

مظلةٌ من قراكِ في شتاءٍ من قهرٍ
وبابٌ من هجرةٍ
ولغةٌ من قذائفِ الغازِ
ونافذةٌ من نومِ هذا العالمِ

ما مِنْ غيرِهِ
مطرُ الصمتِ .

خَمْرَةُ الْمَكَانِ

شَقْوَةٌ مِنْ نَهَارٍ
وَرُطَةٌ مِنْ وَقْتٍ عَلَى نَافِذَةِ السَّاعَةِ
تَعْلُقُ اللَّحْظَةَ فِي فَنَاءِ النُّورِ
الشَّمْسُ مَنْزِلُ عُمُرٍ يَتَقَاطَرُ فِي الظَّهِيرَةِ
وَالطَّرِيقَاتُ تَسْكُبُ المَارَّةَ
وَتَتَدَى الجَنَابَاتُ
وَضَافُ البَاعَةِ مَهْجُورَةٌ
الدَّفْءُ يَبْذُرُ وَجْهَتَهُ
وَسَحَائِبُ القَلْبِ تَصَاحِبُ الزَّرْقَةَ
وَالْمَشْهَدُ أَسْئَلَةٌ لَا تُهَانَ

حرائقُ العبورِ في سرائرِ النظرِ
واشتعالُ الحوانيتِ على مرمى الحجرِ
والعصافيرُ تدقُّ ظلالها
والبيوتاتُ طرائقُ الحضورِ وخمرةُ المكانِ
والأزقةُ ترسمُ جدرانها وخرائطُ المشهدِ

آلاتُ الخرائبِ تُبعثرُ الأزمنةَ
وتحاصرُ الأعرابَ وتنتقي لعنةَ الديارِ وصَوْلتها
تزلزلُ جبلَ العذابِ وقصره

تُدلقُ الترائبُ ناراً ورماداً
والمنافذُ قلبُ الجهاتِ وحديثُها
والزوايا سكرةُ الوجودِ وماءُ الوقتِ واختصارُ
الشهودِ .

مقام

أرْبِكَ النُّوْءُ جِدَارَ العِزْلَةِ
أَجْهَضَ القَلْبُ مِشَاغِلَ الجِهَاتِ
يَكْتَضُ الشُّغْفُ
يَتَدَفَّقُ القُرْبُ
مَوْجٌ وَرِيدٌ كَسَحَابِ الخَطِي
قَدِمَانِ تَلْعِقَانِ سِيرِ الأَمْنِيَاتِ
رُوحٌ مِنْ طُرُقَاتِ
تَتَقَاطَرُ كَنَوَافِرِ غَيْمٍ
لِنَهَارَاتِ تَتَسَاقَطُ
تُزْهِرُ فِي كَتْفَيْكَ
تُوقِظُ حِدَائِقَ النُّهُوضِ
تُشْعَلُ ضِجَّةَ رَبِيعِ الجِسْدِ

ذُرُّ من سَاحَاتِ
وقوائِمُ تَبْدُرُ صُوراً من زوايا الرِّيحِ
رهطُ حنينٍ يَتَكَسَّرُ بين ذراعينِ
وتفاصيلُ الغزو سِلالِمٌ قَريبَةٌ
والجمْعُ فيكَ نَفْرٌ يَنْفُضُ
والجمْعُ فيكَ بلادٌ تَفْقَدُ مَراياها
وتشْخَصُ بين أَصابعِكَ القَوافِلُ
ويَفْتَتِكُ نَهْرٌ من مَساءٍ يَلُمُّ شِتاباً
وجماهيرُ أوقَدتْ خِزائِنَها
أُنْبَتتْ فيكَ تِراثيلَها وحرائِقَها
أَفُضتْ إِلَيْكَ هَذا المَقامَ .

عابر

لكَ العابرُ من مساءِ الكلامِ
لكَ الطارقُ على بابِ الريحِ
لكَ القدمانِ على رصيفِ الساعةِ
ولكَ النفسُ المتجاسرُ وسحائبُ العمرِ
ولكَ عتقُ الزحفِ ونوافذُ القدومِ وشرائطُ الغبارِ

ترفُّ إليكَ الزوايا
والعمائرُ غابةً مختَرقةً
وتحتضِرُ بين يديكَ الجهاتُ
والمنازلُ مطرُ الهواءِ وشغفُ الهطولِ

تركنُ إليك الفقراتُ والواجهاتُ والرافعاتُ والعرباتُ
وتعلقُ في ثيابك شجاراتُ تائهة

ترقبك الظلالُ وتبرعمُ أشكالها
غير أنك دون هدايةٍ أو وحيٍ أو مصيفٍ أو قطرةٍ وقتٍ
تتركُ ظلك وتغادر.

الفهرس

75	في اصطلياد قصيدة	5	ناحية
80	يد	10	نع
82	هدية	12	صيف
83	حين تقول الشمس غروبها	16	حيرة
86	أدقّ من وصل أرقّ من غيم	18	قمر
92	أمنية	21	جهات
92	مسّ	25	تداعيات
93	ظهيرة	29	مدرسة
95	ساعة	33	حي
96	محطة	36	أربعة
97	محاولة	39	خطوة تراقص قبلها
99	أناس	42	ليل
100	صبية	45	عطلة
101	جلّ الكلام	49	بيت
102	حلكة	53	حالات
104	بوابة	58	وردة الكلام
106	شتاء	60	مكتبة
108	مساء	62	موت
110	عيد	64	حديثه
112	وجهة	68	صمم
114	مدينة	70	أفق
116	ممشى	72	قيظ

118	غرق
120	نخلة
122	ميدان
124	مشهد
126	أمسيات
128	ظلمة
130	نهار مفتوح
134	قطاف
136	صباح مورك
138	صيف في مدينة
140	حفاوة نبع
141	قناديل
143	شجر
145	وجود
146	مساء
148	وقت
150	مطر الصمت
152	خمرة المكان
154	مقام
156	عابر

أحمد مدن

أحمد يعقوب يوسف مدن، شاعر ومهندس، ولد في النويدرات عام 1955، حاصل على بكالوريوس الهندسة المدنية من جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً). عمل في المجال البلدي أعواماً عديدة، وكان مديراً للخدمات الفنية وقائماً بأعمال المدير العام، كما كان أميناً للسّرّ لأسرة الأدباء والكتاب في البحرين لعدّة دورات، وعضواً في جمعية المهندسين البحرينية.

صدر له

- صباح الكتابة - 1984م - المطبعة الشرقية البحرين.
- عشب لدم الورقة - 1992م - المطبعة الشرقية البحرين.
- سماء ثالثة - 2000م - دار الكنوز الأدبية بيروت.

للتواصل مع الشاعر

البريد الإلكتروني: amadan@batelco.com.bh